مفاتيح النجاح

للسعادة الزوجية

إعداد

محمد عبد الفتاح صادق

الكتاب: مفاتيح النجاح للسعادة الزوجية

الكاتب: مُحَمَّد عبد الفتاح صادق

الطبعة: ٢٠١٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

صادق ، عبد الفتاح ، مُحَمَّد

مفاتيح النجاح للسعادة الزوجية / مُحَمَّد عبد الفتاح صادق

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٤١ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٤ – ٨٧١ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢١٤٢٤ / ٢٠١٨

مفاتيح النجاح للسعادة الزوجية





إهداء

إلى أبنائي ..

أنتم المستقبل ونور حياتي

المؤلف

مقدمة

لماذا نحب؟ السبب أو الغاية من تلك المشاعر النبيلة الجميلة هو الحاجة إلى إكمال نقص الذات بغنى الطرف الآخر، لذا قال أفلاطون "يجعلنا الحب مكتملين" هذا الشعور بالنقص هو سبب التجاذب بين المتحابين، وأكد سارتر هذا المعنى بقوله: "نحن لا نحب إلا هرباً من وحدتنا".

أما كتاب "مفاتيح النجاح للسعادة الزوجية" الذي تهديه "وكالة الصحافة العربية _ ناشرون" لقارئها، فيبدأ بطرح نفس السؤال تأكيدا لأهميته ثم يردفه بسؤال آخر: هل نبحث في الحب مع الذين يشبهوننا أم مع أضدادنا؟.. والحقيقة هو سؤال لا جواب له، إذ لا يوجد سبب معين وراء وقوعنا بالحب، فالحب كالموت لا تعرفه إلا إذا حضر، يجعلنا نعاني أو نحلق عالياً، وقد يكون أسوأ شيء أو أفضل شيء يحدث في الحياة، فكما قيل "الحب جحيم يُطاق، والحياة بدون حب نعيم لا يُطاق" أيضاً "فيا حُبّ! انتصرْ أَنت انتصرْ، وَعُدْ إلينا خاسرين.. وسالماً".

وقد كتب مرة الفيلسوف "مارتن هايدجر" إلى حبيبته وملهمته "حنة أرندت" مقرا بما يكابده "أتعرفين حنة؟ إن من يقع فريسة الحب لا حماية له، بينما الذي يقع في بقية الأشياء الصعبة، يجد طرقا كثيرة يحتمي بها"

فجاءه ردها: "لا شيء يقودنا إلى قلب العالم النابض أكثر من الحب"؛ فقال لها في رده: "إذن فلندع الموجود يوجد".

ومن المعلوم أن علاقتهما كانت سرية، فهايدجر كان متزوجاً وكان يكبرها بسبعة عشر عاماً، ولكن حبهما فرض نفسه إذ تركا الموجود يوجد.

بعد ذلك تنطلق فصول الكتاب من موضوع الحب لتصل لتصل إلى هدفها وهو "السعادة الزوجية" وكيف تتحقق، فالسعادة متعلقة بالبهجة وراحة البال والسكون الداخلي للنفس، وأصلها في متابعة الإنسان لأمر الله لقوله تعالى: "وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ".

فالسعادة، وكما تنبئنا الآية الكريمة قدرًا مكتوبًا، فهل السعادة فطرية في الإنسان أم مكتسبة؟ يقول المولى في كتابه الكريم: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا"، فالنفس البشرية إذن لديها استعدادٌ فطري لأن تكون شقية إذا ما سلكت طريق الفجور، وأيضًا لديها نفس الاستعداد الفطري لأن تكون سعيدة إذا ما سلَكت طريق التقوى، إذًا فالسعادة تبدأ بالاستعداد الفطري، ويتم اكتسابها بعد ذلك بالتفاعل مع الآخرين في الحياة، ويُتقن الإنسان فنونها بالممارسة، فالسعادة إذن توجد بداخل الإنسان.

هنا نستدعي ما قاله الكاتب "أنتوني روبينز" في كتابه: "قدرات غير محدودة": "كلُّ السلوكيات البشرية تدور حول الحاجة إلى الحصول على المتعة أو تجنُّب الألم"؛ فالحياة بها الضدين "السعادة والتعاسة"، فحياتك _ عزيزي قارىء الكتاب _ لها شكلٌ آخر غير الذي تَعيشه الآن، وأنت وحدَك مَن يُمكنه أن يقرِّر شكل وطبيعة حياته؛ فإما أن تكون حياتك سعيدة وإما أن تكون على العكس من ذلك، فماذا تريد؟ فمن يَشقى في الحياة، ويعيش في ألَمٍ، فعليه أن يعلم أنه هو المتسبب فيه، فكما عليه أيضًا ألا يلوم الظروف أو الناس، ولا يقول: هذا نصيبي وقدري، لكون القدر من الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، كما أن السعادة أيضًا من الغيب ولا يعلمها إلا الله، ونحن متفقون أن الله يقدِّر لنا الخير ويريد لنا السعادة.

فالإنسان إن أراد السعادة، عليه أن يُلقي اللوم على نفسه، ويعيد النظر في حياته ويراجع نفسه، طالَما بقِي له من نصيب في الحياة، وليَغتنم ما تبقَّى له من عُمره ويُسعد نفسه، فالسعي للوصول للسعادة مطلوب، فكلٌ ميسَّر لِما خُلِق له، وكلُّ عامل ميسَّر لعمله، فهيَّا بنا لنكون سعداءَ.

السعادة الزوجية

والسعادة كما يعرفها علماء النفس هي انعكاس لدرجة الرضا عن الحياة، كما أنها انعكاس لمعدلات تكرار حدوث الانفعالات السارة وشدة هذه الانفعالات، كما أن السعادة ليست عكس التعاسة تماما. أما السعادة

الزوجية فهي الشعور بالرضا والإشباع بين الزوجين، وكذلك شعورهما بطمأنينة النفس، وتحقيق الذات، وكذلك الشعور بالبهجة والاستمتاع

وترجع أهمية السعادة الزوجية إلى كونها تؤدي إلى تحقيق ذاتية الفرد وقلة حدة التوتر والقلق أو الشعور بالاكتئاب وعدم الرضا، كما أن الفرد من خلال شعوره بالرضا والسعادة الزوجية قد يحقق العديد من النجاحات في مجالات الحياة المختلفة سواء الاجتماعية والعملية.

وتكون الحياة الزوجية سعيدة عندما:

- يتخلل الحياة الزوجية إشباع العديد من حاجات الزوجين المختلفة.
- عندما تقوم الحياة الزوجية على الأخذ والعطاء والتعاون المتبادل فيما بين الزوجين خلال ممارسة الحقوق والمسئوليات.
- إذا ساد الحياة الزوجية التفاهم والمجاملة والتعاطف والمودة والرحمة والتقدير والاحترام المتبادل بين الزوجين.
- إذا كان هناك مواجهة موضوعية للمشكلات الزوجية المختلفة فإن الحياة الزوجية هنا حياة سعيدة.

العوامل التي تحقق السعادة الزوجية؟

لقد حاول السيكولوجيون البحث عن العوامل التي تجعل البعض سعيدا بعلاقته الزوجية بينما يشقى البعض الآخر بها، وقد توصل العديد منهم إلى أن هناك عوامل موضوعية مسؤولة عن ذلك، وليست المسألة مسألة حظ أو صدفة ومن هذه العوامل:

١- شعور الزوجين بالرضا عن العلاقة بينهما حتى ولو كان لديهما مشاكل مالية.

٢- السلوك الإيجابي بين الزوجين مثل التشجيع والحوار الفعال وسلوك الرعاية.

٣- تمتع الزوجين بمهارة الإصغاء والاهتمام والاستجابة لحاجات كل طرف.

٤- تحدث الزوجين مع البعض ومحاولة حل المشكلات بطريقة بناءة.

٥- أن تتسم العلاقة بين الزوجين بالحب والتعاطف والارتضاء الشخصي.

٦- وجود استعداد للتنازل في المناقشات الجادة، وهدوء الطبع والتريث والقدرة على تجنب السيطرة على الآخر.

٧- القدرة على إعطاء الحب والتعاطف وكذلك القدرة على استقباله.

٨- أن يسود السلوك الديني بين الزوجين.

٩- أن يكون هناك تعاطف وحماية بين الزوجين.

١٠- احترام كل زوج للآخر، والديمقراطية والمساواة في المناقشات الأسرية.

١١- تقدير الزوجة لجهود الزوج ومتاعبه من أجل توفير المتطلبات المعيشية، وكذلك تقدير الزوج للإدارة والعمل المنزليين كما تقوم بهما الزوجة.

١٢- يجب أن يكون هناك تسامح بين الزوجين، وكذلك عدم مقابلة السلوك السلبي لأحد الزوجين بسلوك سلبي من الطرف الآخر بمعنى عدم مقابلة الإساءة بالإساءة.

١٣- توفر نوع من الفهم لمشاعر كل طرف للطرف الآخر. وعمومًا إذا توفر ذلك بين الزوجين فإنه وبلا شك لن تنشأ أي نزاعات أسرية بين الزوجين، وبالتالي عدم وجود مشاكل بينهما ومن هنا يعيشان حياة هادئة وسعيدة.

أما من الناحية الدينية الإسلامية، فالآية التي استهللنا بها المقدمة تبين أن الزواج هو الوسيلة المثلى للاستقرار الذي يبحث عنه البشر،

ووسيلة المنع من الوقوع في المعصية؛ لذا كان من الطبيعي أن نرى الجميع يبحث عن تحقيق السعادة المنشودة من شريك حياته.

إن الدِّينَ الإسلامي الحنيف قد حرص دائمًا على الاهتمام بأمور الأسرة المسلمة، وبالشكل الذي يجب أن تكون عليه العلاقة بين كل من الزوج والزوجة في كونها علاقةً متميزة، لما لها من مكانة عالية، وتقدير واحترام في الإسلام، ومنه قول الرسول الكريم ﷺ: "إن أحقَّ الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروجَ" ، وهذا الحديث يدل على قيمة العلاقة الزوجية، ومدى اهتمام الإسلام بها، ومن ثم فإن الزواجَ الناجح يجب أن يكون منضبطًا بما جاء في الدِّين، وأن يكون التعامل بين كل من الزوج والزوجة مبنيًّا على التعاون والحب والاستقرار.

وليس الأمر دينيا فقط فهناك بعض المهارات التي يشير إليها المختصون في هذا المجال، ويجب أن ينتبه إليها الزوجين في التعامل فيما بينهما، ولعل أهمها يتمثل في التواصل غير اللفظي بينهما، الذي يشكل أكثر من ٧٠% من تواصل الأفراد بعضهم بعضًا، ومن هنا كان من الضروري الاهتمام بهذا النوع من التواصل؛ حتى تسهل عملية فهم الرسالة، وتبعدنا عن أي خلل قد يقع في تعاملاتنا اللفظية، مشيرًا إلى أن هذا التواصل غير اللفظي يتمثل في صور كثيرة؛ مثل: تعبيرات الوجه، وحركة الجسم، وتغيير نبرة الصوت، ونظرة العين، وما شابه ذلك، وإن طبيعة الحياة بين كل من الزوج والزوجة بعد مرور فترة زمنية على زواجهما تتحوَّل من لمس هذا التواصل غير اللفظي، والشعور به، والنظر إليه على

أنه تعبيرٌ عن الحب من كلا الزوجين، يتحول إلى فتور مع مرور الوقت، ولا ينتبه إليه الزوج أو الزوجة، على اعتبار أنه من وجهة نظرهم أصبح من ضروريات الحياة بينهم، وهنا ينبغي على كل زوجين أن يتجها إلى تفعيل هذا التواصل غير اللفظي بينهما، وعدم التقليل من شأنه، والنظر إليه على أنه تعبيرٌ عن الحب من الطرف الآخر.

أما علماء النفس فيذكرون العوامل التي تساعد على تحقيق السعادة الزوجية، والتي من أهمها: الاهتمام، والإكثار من الكلام العاطفي المتبادَل بين الزوجين، فكلما كثرت المفرَدات العاطفية، والكلمات التي تدل على الحب والاحترام بين الزوجين، ساعد ذلك على نجاح الأسرة، وكان عاملاً قويًّا في استقرارها، ويجعل للحياة الزوجية صبغة مختلفة، ويساعد على تصفية العلاقة الزوجية من أي شيء قد يشُوبها، أو قد يُعكِّر صفوها لأي سبب، مشيرًا أيضًا إلى ضرورة اهتمام كل منهما بالغزل الذي يعبِّر عن مدى حب كل طرف للآخر، لا سيما من الرجل إلى المرأة التي تحتاج – وَفْقًا لطبيعتها – إلى مثل هذه الكلمات الرقيقة التي تشعُرُ فيها بمدى حب زوجها لها، لا سيما عند اللقاء بعد فترة من البعد أو عند الافتراق لظرف ما؛ كالسفر ونحوه، فضلاً عن الدعابة، وتبادل الابتسامة بينهما، وامتداح كل منهما للآخر بما فيه، وذكر صفاته الحسنة، والثناء على ما يقوم به، وما يفعله، سواء كان ذلك في الأوقات العادية، أم في أوقات المشكلات التي تكون بينهما، والتي تكون أحوج ما تكون إلى مثل هذه التعاملاتِ من أي وقت آخر؛ نظرًا لتوتُّر العلاقة.

كذلك فالغَيرة تُعَد عاملاً أساسيًّا من عوامل تحقيق السعادة الزوجية، ولكنها يجب أن تكونَ في إطار الغَيرة المحمودة، ولا تخرج من هذا الإطار، لا سيما أن البعض يرى أن مقدار حب الطرف الآخر له إنما يقاس بمدى غَيرته عليه، واهتمامه به، إلا أن هذه الغيرة قد تكون مِعولَ هدم للأسرة في بعض الأوقات، في حال انتقالها إلى مرحلة الشك دون مُبرِّر في شريك الحياة، ومن ثَم يجب أن ينتبه كلٌّ من الزوجِ والزوجة من الوقوعِ في مثل هذا النوعِ من الغَيرة؛ حفاظًا على حياتهما الزوجية، مشيرًا كذلك إلى أن هناك بعض الأمور وبعض الحالات في الحياة الزوجية تتطلب من كلا الزوجين أن يغُضَّ الطَّرْف عنها؛ حتى لا تتعطل مسيرة الحياة الزوجية من أجل أمور قد تكون صغيرة وناتجة عن ضغوط ما، بل يكون على الطرف الآخر في هذه الحالة أن يحتويَ شريكَ حياته، ويساعدَه على تخطي ما هو فيه، فضلاً عن ضرورة أن يحترم كلٌّ منهما توجُّهات الآخر وأفكاره، لا سيما إن كانت مختلفة فيما بينهما، وكذلك ضرورة الاهتمام بما هو مشترك بينهما، والعمل على تفعيله؛ لأن ذلك كله يعد سرًّا حقيقيًّا من أسرار نجاح الأسرة وسعادتها

وأخيرا فأساس السعادة الزوجية يكمُنُ في القدرة على التغلُّب على المشكلات الزوجية التي تواجه كلا الزوجين في حياتهما، لا سيما أن الحياةَ البشرية لا تخلو أبدًا من المشكلات، وبالأخص المشكلات الأسرية، موضحًا أن هناك بعضَ القواعد التي قد تساعد على تخطِّي هذه المشكلات بسلام، ولعل مِن أهم هذه القواعد أن يعوِّدَ الإنسانُ نفسه منذ

البداية على تقبُّل المشكلات، وأن يقتنع اقتناعًا تامًّا بأنها أمور عادية وواردة في كل وقت وحين، والتعامل معها بكل لِينٍ؛ حتى يتمكَّنَ من وَضْع حلول نهائية لها، والاستعانة بالله عز وجل في حل هذه المشكلات، لا سيما أن من علامات الإيمان "الشكر لله في الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بكل قضاء"، فضلاً عن ضرورة الابتعاد كل البعد عن الانفعالات والغضب، وعن اتخاذ قرارات في مثل هذه الحالة، بل لا بد من التزام الهدوء، وأن يستمع كل طرَف إلى الآخر جيدًا، وأن يتفهم رأيه.

ويجب أن يتقبل كلٌّ طرف اعتذار الآخر في حال وجود مشكلة ما، وعدم التعنت والتمادي في لومه، والغضب منه؛ لأن مثل هذه الأمور تعقِّد الأمور أكثر مِن أن تعمل على حلِّها، فضلاً عن أهمية استرضاء الطرف الآخر، والابتعاد تمامًا عن المكابرة والعناد، وتقبُّل اعتذار الطرف الآخر في حال إذا ما اعتذر عن فعل قام به، مشيرًا إلى ضرورة أن يحرصَ أحدُ الزوجين أو كلاهما في وقت حدوث مشكلة ما على أن يحول هذا الموقف الانفعالي إلى موقف عاطفي يمتص التوتر القائم، ويعمل على جعل كل طرف لديه قابلية لتفهم الطرف الآخر، مؤكدًا على أن هذه كلها عوامل تساعد على تحقيق السعادة الزوجية، ومن ثَم تحقيق الهدف الذي شُرِع الزواج من أجله. هذا وغيره يعلمنا إياه الكتاب، وها هو بين يديك.

المؤلف

لماذا نحب؟

هل نبحث عن الحب مع الذين يشبهوننا أم مع أضدادنا؟.. وهل الأثر الأقوى للتشابه أم للتضاد؟.. النظرة هي رسول الحب، والسمع لا يعدله في ذلك إلا في القليل.. نعم قد يحب بعض الناس مغنياً أو خطيباً، أو متحدثاً في المذياع، عن طريق الصوت وحده، ولكن هذا ليس حباً، بل هو إعجاب بالصوت وصاحبه. أما النظر فهو أشد تأثيراً، وأعظم تمكيناً للحب. وقد لاحظ فيلسوف الحب كازانوفا ملاحظة طريفة، هي أننا كثيراً ما نحب شخصاً رأينا وجهه ولم نر جسمه، ولكننا لا نحب شخصاً رأينا جسمه جميلاً دون وجهه.

كذلك الأديب الايطالي "دانتي" وقع في حب "باتريس" ولم يكن رأى سوى طرفاً من وجهها فقط، فأكمل رسم صورتها من مخيلته، وجعل منها عذراء فاتنة.

ولكن ما هو العامل الأقوى الذي تجذب إنساناً إلى آخر؟ أهو التوافق أم التباين؟ وهل نحن نبحث في الحب عن أنفسنا أم عن سوانا؟

يبدو أن الأمر قد يكون هذا أو ذاك، وأنه كثيراً ما يكون لأحدنا صديقان يعجبه في كل منهما ناحية خاصة، وهما لا يلتقيان في كثير من

الصفات، وقد يحدث أن يشعر شخص أسمر اللون بميل شديد إلى الشقراوات، فإذا وقع في شراك الحب، كانت حبيبته سمراء اللون سوداء الشعر ويلاحظ أيضاً أن حب الشبه للشبيه أقوى وأبقى، وأن عشق الضدين أوهى حبالاً وأسرع إلى الزوال، وهو لا يعدو فتنة عابرة.

ونحن نجد ذلك في أنفسنا، إذ نرتاح إلى أقرب الناس شبهاً بنا خلقاً وخلقاً، فإذا طرأ علينا ميل إلى غير ذلك، كان ميلاً إلى أجل، دافعه ظرف خاص من رغبة أو اضطرار. وليس الحب _كما يقول بعضهم _ شبيهاً بالكهرباء، إذ ينجذب الموجب للسالب، فطبيعة الأمرين مختلفة.

والغزل ضرورة لتمام الحب، وقد تعاقبت الأزمنة، واختلفت الأحوال، وتباينت الطبائع، ولا يزال الغزل وسيلة الناس إلى بعث الحب أو إذكائه. وليس الغزل مقصوراً على الأدباء من الشعراء والكتاب وأهل الفنون، بل يعرفه كل إنسان على طريقة تلائم بيئته وطبيعته، فهناك الغزل البسيط، والغزل المعقد المكلف، وهناك الغزل الحزين الباكي، والغزل الضاحك الساخر، وفي ميدان الحب تزول الفوارق بين الإنسان العادي والشاعر الموهوب، فقد يذهب الحب بخيال الرجل العامي مذاهب تفوق ما يذهب إليه خيال العباقرة، وقد قيل أن الحب هو الفن الوحيد الذي يجيده أو يتذوقه كل إنسان ولو مرة في حياته.

ولقد كان لأهل الأجيال السابقة من فسحة الوقت وفراغ البال ويسر الحال، ما زاد في أنواع الغزل، فعرفوا التغزل بالشعر، وبالحديث،

وبالرسائل، وجعلوه فناً، له هواته ومحترفوه والمتخصصون فيه، حتى أن أحدهم ليشهد الحفل العام، فلا يحجم عن مغازلة إحدى الحاضرات علانية. وربما أعجبت به صاحبته فكافأته عن غزله علانية أيضاً، بالتحية الخالصة أو الإيماءة الخليعة، أو القبلة تبذلها له، دون توقر أو احتشام.

يقولون أن الرجل أكثر ما يبدأ التفكير في الحب، حين يكون في مطلع الحياة وعنفوان الشباب بين سن العشرين والثلاثين، في تلك الفترة التي لا يزدحم فيها وقته بالدأب في سبيل العيش، وأن المرأة أكثر ما يبدأ تفكيرها فيه، حين تكون بين الخامسة والثلاثين والخمسين، وعلة ذلك أنها تكون قطعت فترة الحيرة والبحث عن المعين. وإذا اقترن حبان في سن واحدة، كانت عاطفة الرجل أفعل وأقوى وأحد شبوباً، حتى إذا تطاول الزمن بهما، خفت حدته، وفترت عاطفته لازدياد شواغله، وكثرة صوارفه.

وكذلك قد يكون الوفاق بين فتاة وزوج لها يكبرها بأعوام عدة، فإن إعجاب الفتاة بالرجل المكتمل المجرب وامتنانها إليه، يشعرها بالسعادة والتوفيق، على أن ذلك ليس حباً خالصاً، بل هو مزيج من الحب والإعجاب والشعور بالأمن والحماية والعنصر الأخير أقوى تمكيناً للرابطة لأن طلب الأمن والحماية من طبيعة المرأة. أما ما يذكره العامة من إيثار المرأة الرجل الذي يسودها ويستعبدها فليس حقاً على إطلاقه، فهي في الواقع تؤثر الرجل الذي يسود سواه وليست هناك امرأة تحب رجلاً سائداً متفوقاً لمجرد رغبتها في الخضوع والاستسلام. *(عن "خواطر في الحب" لإميل لودفيج)*

دعائم الحب

يتحدث الدكتور "كليفورد آدمس" أحد كبار المتخصصين في شؤون الزواج، عن الحب وأسس السعادة الزوجية، وما ينبغي أن يراعيه الشبان عند اختيار شريكة الحياة. فيقول "من الكلمات التي يصعب تحديد معناها كلمة "الحب" فأنت تقول: فلان يحب الكلاب، ويحب "الجيلاتي"، ويحب ابنة عمه. وأنت تعني طبعاً معاني تختلف باختلاف العبارة، فقد غدت كلمة الحب لكثرة استعمالها كقطعة العملة الفضية التي شاع تداولها بين الناس فزالت نقوشها وانمحت معالمها. وكم من شبان وشابات يتخيلون أنهم "يحبون" شخصاً معيناً من الجنس الآخر، فيعلقون على هذا الحب الآمال المريضة والأماني الزاهرة، ولكنهم إذا ما تدبروا الأمر بروية، أو إذا تعرضت عواطفهم لنيران التجارب والمحن، اتضح لهم أن هذا الحب لم يكن إلا سراباً زائفاً.

زارتني مرة إحدى الفتيات الجامعيات، فقالت أنها وقعت في حب شابين بالكلية، أحدهما من أبطال كرة السلة، والآخر من فرقة الموسيقى، وطلبت مني أن أعينها على اختيار أحدهما ليكون زوجاً لها، فلما درست الموقف من نواحيه المختلفة، تبين إلي أنها لم تكن تحب أحدهما.

ويقال أحياناً أن فلاناً "أحب من أول نظرة"، وهو اصطلاح شاعري جميل، ولكنه ينطوي على لون من الخداع، فالحب الحقيقي لا يمكن أن يكون من "أول نظرة"، والأصح أن يقال أنه افتتن بالفتاة حينما رآها، إما لأن مفاتنها نجحت في إثارة غرائزه أو لأنها تشبه الصورة التي رسمها في مخيلته لفتاة أحلامه. وهذا الافتتان قد يتطور فيغدو حباً، ولكنه قد لا يعدو الرغبة الجنسية في أغلب الأحوال. ومن هنا كان من الخطأ أن يندفع الشاب إلى الزواج من فتاة يتوهم أنه أحبها من أول نظرة، أو أن تتعلق فتاة بفتى تحسب أنها أحبته لأول نظرة، ولكن لماذا يبتعد احتمال ازدهار الحب بين قلبين تجاذبا من أول وهلة؟

إن الحب رغبة وسعي للتضحية في سبيل شخص آخر والاستمتاع بالسهر على خدمته ورعايته؛ فالحب ليس فخاً ينصب في طريق الشبان، وإنما هو حالة احترام وتقدير لشخص ما تقترن عادة باللذة في صحبته. وهذا يتأتى – في الغالب – من تحلي الشخص المحبوب بصفات وميول مشابهة لصفات الحب وميوله.

وإذا كانت حياة الشاب، إبان طفولته، مليئة بالمشاحنات والمنازعات وكثرة الشد والجذب في علاقته مع أبويه ومع من هم في سنه، لم يصبح قلبه – وهو في ريعان شبابه – تربة خصبة تصلح للحب الصحيح الذي يعد الدعامة الأولى للسعادة الزوجية. أما إذا نشأ في جو من الحب والاتزان العاطفي، ظل قلبه غضاً مفتوحاً لمخالطيه.

ويتطور أحياناً شعور الصداقة بين الفتيات والفتيان من هذا النوع إلى شعور من التقدير والإعجاب، ثم يستحيل هذا الشعور إلى حب، ويثير الحب الإحساس بالظمأ الجنسي فيفكران في الزواج.

أشياء ينبغي أن يتدبرها الشاب

ينبغي أن يتدبر الشاب ثلاثة أشياء: ماذا يريد من شريكة الحياة، وماذا يحتاج منها، وما مستوى الزوجة التي يستطيع الظفر بها.. وقد يقال أليس ما يريده الشاب هو نفس ما يحتاج إليه؟ لا، إن رغباته تبنى غالباً على اعتبارات غير عملية، وقد تكون مجرد السعي وراء المال. وقد أجريت أخيراً عدة استفتاءات في موضوع الزواج للطلبة والطالبات المنتهين من بعض جامعات الغرب، فأجمعت أغلبية الفتيات على أنهن لن يتزوجن من شبان يقل إيرادهم عن ثمانمائة جنيها سنوياً، وبديهي أن هؤلاء الفتيات يردن مالاً أكثر مما يحتجن إليه، وفي الغالب أكثر مما يستطعن الحصول عليه.

خذ مثلاً حالة إحدى الفتيات المشتركات في الاستفتاء وتدعى "إيلين" اشترطت أن يكون دخل المرشح لزواجها ألف جنيها في السنة، ولا يمكن أن يبلغ كسب شاب من عمله هذا القدر إلا إذا كان ذكاؤه فوق المتوسط. هذا مع أن ذكاءها هي كان أقل من المتوسط، واشترطت أيضاً أن يكون سليل عائلة عريقة وأن يكون طبيباً أو محامياً. وكان آخر شرط حددته _ وكأنه أقل الشروط أهمية _ أن يكون محباً لها متيماً بها. وليست إيلين الوحيدة في المغالاة في مطالبها، بل أن معظم الفتيات اليوم _ إن لم

يكن كلهن ـ يسرن على غرارها، فهن يطالبن بأشياء أكثر مما يحتجن إليه بالنسبة لمستواهن الاجتماعي الذي نشأن فيه. كما يطالبن بأشياء لا يمكن تحقيقها، وعلى فرض أن الحظ واتاهن فوجدن زوجاً تجتمع فيه الشروط المطلوبة، فإنهن لن يسعدن معه، لأنه يندر أن يتم الوفاق بين زوجين لا يتفقان في مستواهما الفكري أو الاقتصادي.

سئل لفيف من المدرسات العانسات عن آرائهن في الزواج، فاعترفن أنهن كن يستطعن الزواج منذ أعوام، ولكن الرجال الذين تقدموا لخطبتهن لم يبدوا في نظرهن في ذلك الحين أكفاء لهن. أما الآن، بعد أن فقدن كل أمل في الزواج، فإنهن في قرارة نفوسهن نادمات على الفرص التي ولت منهن، ويتمنين لو كن عمليات ولم يحل زهوهن وغرورهن دون قبول الزواج.. ولكن، ما هي الصفات التي ينبغي توافرها في شريكة الحياة؟ توجد صفات يرى كل امريء أنها لازمة كالصحة الجيدة، وخفة الروح، والجمال، والاعتماد على النفس، وعدم الأثرة.

ويجمع الخبراء في شؤون الزواج، على أنه لتحقيق السعادة الزوجية يجب أن يكون الزوجان في سنين متقاربين ومستوى ثقافي واقتصادي متقارب ومن نفس الدين والجنسية، ومن العسير أن تجد شريكاً اجتمعت فيه كل الفضائل، ولكن ذلك ليس مهماً، وإنما المهم أن يسود الحب بين الزوجين وأن يخلوا من النقائص والعيوب البارزة.

لماذا يحجم الشباب عن الزواج؟

إن عدداً كبيراً من الشبان يؤثرون اليوم حياة العزوبة، وكذلك نسبة كبيرة من الفتيات العصريات أصبحن يتمسكن بوظائفهن ويفضلنها على الحياة الزوجية. فما السر في ذل

إن لفيفاً من الجنسين لا يستسيغ أن يضحي بالحرية التي ينعم بها العزاب، ولا يطيق أن يثقل نفسه بأعباء الحياة الزوجية ومسئولياتها الجسام، ولا أن يرتبط بامرأة واحدة أو رجل واحد قد تسبب عشرتهما السأم والملل. وثمة لفيف آخر لا يتزوج لأنه يحلق دواماً في دنيا الخيال، والصورة المستقرة في أذهانهم عن الرفيق الذي يريدونه لأنفسهم شريكاً في الحياة، صورة خيالية لشخص مثالي لا وجود له.

وهناك من لا يتزوجون لأنهم صدموا في حياتهم العاطفية وأخفقوا في الحب في مستهل حياتهم، فخلف ذلك جرحاً في نفوسهم، غدا حائلاً دون الظفر بالسعادة في الحياة الزوجية، وأحياناً لا يتزوج الرجل لارتباطه بالتزامات عائلية، كأن يكون له أم أو أخوة وأخوات قاصرات وبعض الشبان من الأنانية بحيث تدور كل أفكارهم حول أنفسهم، فلا يطيقون فكرة الزواج لما تنطوي عليه من التضحية ومشاركة الزوجة لهم في مقتنياتهم. والبعض _ وبخاصة الفتيات _ يحجمون عن الزواج بسبب أفكار خاطئة تغلغلت في أذهانهم بصدد الحياة الجنسية ومتاعب الحمل ومنغصات الحياة الزوجية.

وقد قالت لي أخيراً سيدة في التاسعة والعشرين من عمرها، تزوجت منذ أربع سنوات، أنها كانت وما تزال تجزع لمجرد التفكير في الاتصال الجنسي بزوجها، ويرجع ذلك إلى ما روته لها أمها عن المتاعب التي صادفتها في زواجها وفي أثناء ولادتها، وما كانت تقوله لها _ بسلامة نية _ عن قسوة الرجال وغدرهم. وقد ظلت هذه الأفكار _ بغير وعي منها _ عالقة في ذهنها إلى ما بعد الزواج.

لماذا يتزوج الشباب؟

إن آلاف الشبان الذين يتزوجون في مختلف أنحاء العالم، لا يقدمون على الزواج لأنه شيء عادي، بل لأن له مزاياه وفوائده. فالمتزوجون يعيشون عادة أكثر من العزاب، ويستدل من تقارير إحدى شركات التأمين الكبيرة أن عدد العزاب الذين يموتون فيما بين الخامسة والثلاثين والأربعين ضعف من يموتون من المتزوجين في هذه السن. ومقابل كل مائة عانس تموت وهي بين الثلاثين والخامسة والستين، تموت تسعون متزوجة فقط.

وثمة مزايا عملية للزواج؛ فتكاليف المعيشة لشخصين يعيشان معاً أرخص من معيشة كل منهما على حدة، ويهيئ الزواج للرجل فرصة للتقدم على أقرانه. فأصحاب الأعمال يعرفون أن المتزوج أكثر استقراراً في عمله من العازب، ويكون عادة أكثر رزانة واستعداداً لتحمل المسئوليات، واندماجه في المجتمع أيسر من الأعزب، لأنه يعد عضواً مهماً فيه، وسواء

أكان صواباً أم خطأ، فإن معظم الناس يحسون أن هناك شذوذاً من ناحية البالغ الذي يظل بغير زواج.

هل أنت مستعد للزواج؟

أنت مستعد لذلك إذا كنت ناضجاً، والنضج هنا ينظر إليه من النواحي الجسمية والذهنية والجنسية والعاطفية ومقدرة المرء على كسب العيش. ولو أننا فحصنا كثيرين في هذه النواحي المختلفة، لوجدنا أنهم لا يصلحون للزواج حتى وهم في الخامسة والثلاثين من العمر.

إن النمو الجسمي من حيث الطول والوزن يكون سريعاً في سن المراهقة؛ فإذا ما بلغ الفتى سن الثامنة عشرة. أخذ يبطيء تدريجيا، ثم يقف النمو تقريباً في الرابعة والعشرين. ولأغراض الزواج ينضج الشخص العادي جسمياً وهو في عمر العشرين، ولكن البعض يحتاجون إلى مدة أطول بسبب اضطراب بعض الغدد عندهم.

والمقصود بالنضج الذهني مقدار ما يكتنزه الشاب في عقله وما يجمعه من خبرة وتجربة تؤهله أن يكون أباً ورب عائلة، وفي العادة ينبغي أن يعيش الشخص العادي ٢١ أو ٢٢ عاماً قبل أن يكون قد تدرب على تحمل مسئوليات الحياة الزوجية. أما الذين شبوا في جو من الدلال وعدم الاعتماد على النفس، فيغلب أن يستغرقوا وقتاً أطول من ذلك. ولا يكون الشاب أهلاً للزواج حتى يصبح في ميسوره أن يكسب عيشه، وحتى

يستقر في عمله ويطمئن إلى مستقبله، وذلك لا يكون في الغالب إلا بعد انقضاء سنوات في عمله بعد إتمام دراسته. وكذلك الفتاة ينبغي ألا تقدم على الزواج قبل أن تتدرب على إدارة البيت ورعاية زوجها وأولادها. فهذا جانب مهم من عملها يجب أن تجيده إذا شاءت أن تكون سعيدة مع زوجها.

والنضج الجنسي ليس المقدرة على إنجاب الأطفال فحسب، وإنما يتضمن إلى ذلك المقدرة على ضبط العواطف وفهم الحياة الجنسية على حقيقتها والتحرر من الاضطرابات النفسية التي تصاحب الكبت الجنسي أو العلل الأخرى. أما النضج العاطفي فهو أكثر العناصر أهمية في تحديد استعداد الشاب للزواج. ومعظم العلماء يقررون أن الذين لم ينضجوا عاطفياً يندر أن يستمتعوا بحياة زوجية سعيدة. والنضج العاطفي يتضمن القدرة على مسايرة الناس والمقدرة على الاستمتاع بالعمل ومواجهة المشكلات التي تعترضنا في معاملاتنا مع الآخرين. وأخيراً تتضمن الخلو والتحرر من عدم الاستقرار وعدم الثقة بالنفس والاضطرابات العصبية.

(عن كتاب "كيف تسعد في الزواج"..)

ما يحتاج إليه الأزواج

قال طبيب نفسي عربي بارز أنه يعتقد بأن الحاجة الرئيسية التي لا يلقى الرجل المتزوج في هذه الأيام ما يشبعها هي مزيد من الحب الدافئ، وقد أكد في عبارته هذه كلمتي "الحب"، و"الدافئ".

ومن مستلزمات سعادة الرجل أن يحس أنه مستكمل لصفات الرجولة مع الجاذبية البدنية، أما الرجال الذين ليس لديهم هذا الشعور، فإما أن يقعوا فريسة الإحساس بأنهم مرضى أو يندفعوا في محاولة تغذية حاجتهم إلى الحب بإجهاد أنفسهم في العمل المتواصل. ومعظم الرجال يترفعون في عزة وإباء عن طلب الحب والاهتمام، بل وعن الاعتراف بينهم وبين أنفسهم بالجوع لهما.

والقليل من الود الزوجي غير المتكلف يمكن أن يريح عقل الرجل مما يقلقه، وقد يكون هذا الود تعبيراً عن الإغراء الصريح الخداع، كما قد يكون تعبيراً عن أنه غرض في ذاته. وليس من المهم ما يمكن أن تقدمه الزوجة من لذة جنسية، ولكن المهم هو مقدار ما تستطيع أن تقدمه من الحب. وأعتقد أننا معشر النساء كثيراً ما نلاقي عناءً في مساعدتنا لأزواجنا على أن يشعروا بأنهم حقاً أكثر التصاقاً بنا ومحبوبون منا حباً أدفأ، لأنه يختلط علينا التفريق بين الحب والرغبة.

إن الحب يختلف في مظاهره اختلافاً بيناً، وكذلك ما يحتاج إليه الرجل. وحاجة الرجل إلى الحب الذي نشأ عليه من صغره هي إحدى حاجاته الأساسية.

كان لسيدة أعرفها أين يذهب إلى المدرسة، وكان يحبها حباً عميقاً وإن كان يصدها عنه بكثرة مشاغله لكي يصبح رجلاً. وفي أحد أيام آخر الأسبوع عاد إلى البيت وقد بدت عليه أمارات الإنهاك المفرط، وبعد محاولات كثيرة اكتشفت أن شيئاً مهماً بالنسبة له لم يتحقق بالطريقة التي كان يرجوها، ولكنه ما أن أخبرها بما كان يزعجه حتى هز كتفيه وقال: "لا تهتمي بحالتي فإنني كنت حزيناً على نفسي وأعتقد أنني كنت أريد المجيء إلى أمي" وقد تاقت إلى تعزيته وإعادة الراحة إلى نفسه، ولكنه لم يقترب منها، ولم يقل لها شيئاً آخر، وإنما راح ينظر إليها في اكتئاب وبرود كما لو كان يجبرها على أن تعرف ما في ضميره على وجه الثقة، وكانت تعرف أنه مهما يكن حبه لأمه، فإنها لن تستطيع منحه إياه، وقالت في ابتسامة: "إن الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يعطيه ما يريد هي الزوجة، وأنه بعد سنوات قليلة سوف يجد الحياة أسهل حينما يجد لنفسه زوجة".

إن في استطاعة الزواج أن يقوم مقام الأمومة خير قيام، وهذا هو أحد أنواع الحب الذي يجب أن تتعلم الزوجات كيف تمنحنه لأزواجهن. ولكن ينبغي أيضاً على النساء جميعاً في حياتهن مع أزواجهن أن يتعلمن كيف يوجدن التوازن بين مزيد من الحب الأموي وبين التقتير فيه" وينبغي ألا تنسى المرأة أن إحدى خصائص الذكر الأساسية رغبته في الحرية؛ فالرجال

يعتريهم الهزال إذا شعروا أن الزواج يضيق عليهم الخناق.. إنهم في حاجة لأن يعرفوا أنهم إذا أردوا أن يخرجوا إلى المقهى أو النادي للعب الورق أو التنس أو أن يقضوا عطلة آخر الأسبوع مع أصحابهم في الصيد أو ما إلى ذلك، فإن الأمر لن يصادف اعتراضاً من زوجاتهن.

والغالب أنهم كلما ازدادت حرياتهم في أدائهم لأعمال الرجال، قلت رغبتهم في استخدامها، بيد أنهم يحتاجون جميعاً إلى أن يشعروا بالحرية؛ فكيف يتسنى لنا معشر النساء أن نبعدهم عن الشعور بالحصار والتقييد؟.. أفضل طريقة لذلك هي، ببساطة، عدم محاصرتهم أو التضييق عليهم وهذا يتضمن أن تعطي الزوجة زوجها من الحب ما يكفي لجعله حراً في القيام بأعماله بطريقته الخاصة، وأن يتمتع بهواياته التي تملأ ثغرات شخصيته، كما يتضمن أيضاً أن تجعله يشعر بالحرية في التمتع بصحبة الغير.

إن عدداً كبيراً من النساء اللاتي يشعرن بكامل الارتياح والفهم لحاجة أزواجهن للخروج إلى أصدقائهم من الرجال، مازالت قلوبهن تنخلع تماماً إذا ما أظهر الرجال المساكين أقل اهتماما بأية امرأة أخرى، وربما كان تعود الرجال على الحديث مع الرجال الآخرين في الاحتفالات لا يرجع إلى أنهم حقاً يفضلون محادثة الرجال، وإنما إلى أنهم يخافون أن تأخذ الغيرة زوجاتهم لو فعلوا ذلك. على أن الأزواج والزوجات أيضاً بحاجة بين وقت وآخر إلى معرفة كيف يبدون أمام الناس الآخرين، وإلا فما فائدة الاجتماعات إذن، إن لم تكن لتنعش حياتك وتتيح لك أوجها للمقارنة لكي يستطيع كل

منكما أن يعود إلى بيته بشيء جديد إلى رفيقه؟ إن هذه الاجتماعات لن تعينك فقط على الشعور بالجاذبية الشخصية، ولكنها تساعدك فعلاً على أن تكون أقوى جاذبية. وإذا ما كر الزوج وزوجته راجعين إلى البيت من حفل، وهما يشعران بجاذبية دافقة، فلا بد أنهما سيحملان إلى بيتهما حباً متضاعفاً من أحدهما نحو الآخر.

وحينما يريد شخصان متحابان الحصول أيضاً إلى إشباع بدني من بعضها البعض، فإن من الصعب على المرء أن يعرف الحد الفاصل بين الحب والرغبة الشهوانية وأين ينتهي الواحد وتبدأ الأخرى، ولكننا جميعاً ندرك الاختلاف. فكلنا نعلم كيف يشعر المرء شعوراً غاية في العمق بالحب اللطيف النبيل الحساس الذي لا تشوبه رغبة بدنية، كما يعلم الكثير منا كيف تكون الرغبة الشهوانية واللذة الحادة حين نشعر أن القلب خلا كلية من الحب.

إن هذه الاختلافات في المشاعر عادية تماماً ولا بد من حدوثها خلال حياة المرء الزوجية بأكملها، وحينما يصل المرء إلى الرغبة البدنية فإن لكل فرد – رجلاً كان أو امرأة – مستوى مختلفاً من الرغبة ودورة متباينة من الحاجة، وتتكرر الدورات مرات كثيرة خلال حياة المرء، وأسعد الأزواج هما اللذان يعرفان أن دورتيهما لا يمكن أن تلتقيا في كل آن وأوان، وأن يقبلا هذه الحقيقة بارتياح

وحتى أولئك الذين يفهمون أن للرغبة مداً وجزراً يميلون غالباً إلى النفور من هذا الفهم، وهم يشعرون أن الحب يجب أن يكون فوق كل اعتماد على الدورات، وأنه بطبيعة الحال، لا يجب أن يكون هكذا فحسب، لأنه كائن فعلاً على الرغم من اختلاف قدراتنا على التعبير عن الحب. والغزل هو أحد التعبيرات عن الحب ولا يمكن أن يكون قوياً شهوانياً دائماً، ولا ينبغي أن يكون كذلك دائماً. وفي حياة كاملة من الزواج، لا بد أن يكون هناك مجال لمختلف العواطف التي تحاكي كل الألوان.

وبعض النساء لا يحسسن مطلقاً بنفس الحاجة إلى الغزل التي يحسها الرجال، ولا بنفس اللذة، ويصعب على أمثال هؤلاء النساء أن يفهمن حاجة الزوج ليجعلنه يشعر بأنه محبوب نظير حبه، ولكن في إمكان هؤلاء الزوجات التقدم حثيثاً في طريق جعل حبهن بديلاً عن الرغبة البدنية. تحدثت من سنوات قليلة مع امرأة كانت قد وجدت حلاً عملياً لهذا الإشكال بطريقة بعيدة كل البعد عن الأنانية قالت: "لم أشعر في حياتي بذلك الشعور أو تلك العاطفة الجياشة الشهوانية الجامحة التي لدى الكثيرات من النساء. والأرجح أن زوجي يتوق إليها. ولما كنت أحبه فإنني أحاول قصارى جهدي أن أجعله يشعر بالسعادة" ونشرت يديها وهزت كتفيها وبدا وجهها رقيقاً لطيفاً وفكرت أنه ربما كان زوجها يفتقد شيئاً لأن زوجته ليس لها نفس حاجاته البدنية القوية، ولكني أحسست أن الأمر لا أهمية له إطلاقاً.

إن مدنيتنا وتقاليدنا تجعل الرجال هم الأفراد الجائعين جنسياً، ومع ذلك فقد تربى بعض الرجال على الشعور بالخجل والخزي من حاجاتهم الجنسية، حتى أنهم قمعوها وغالباً ما يشعرون بأنهم أقل حيوية مما يمكن أن يكون على حقيقتهم. وقد يبدون راغبين في غزل أقل بشكل ملحوظ مما تتطلب زوجاتهم، بيد أنه من الممكن تماماً أن يحتاج هؤلاء الرجال إلى دفء الحب البدني، أكثر جداً من كل الرجال الجائعين إلى ذلك الحب العاري.

ولما كان النساء لا يفترض أنهن يحملن الرغبة أو الحاجة إلى الغزل الكثير شأن الرجال، فإن الزوجة التي تزيد رغبتها البدنية على رغبة زوجها تستطيع أن تجعله يشعر بالقصور والعجز، ثم لا تلبث أن تورثه روح الصدود والعزاء لأنه يشعر بالقصور والعجز، بل ومن الممكن أنها هي بغبنها قد تشعر بأنها غير عادية، بل وربما تشعر بالفجر والفساد. وكل هذا من شأنه أن يحملها على أن تصبح مشبعة هي الأخرى بروح العداء، وهكذا يتم تكوين تلك الدائرة الخبيثة، ولكنها دائرة تستطيع أي زوجة أن تحطمها على الرغم من أن ذلك قد يكلفها كثيراً من الحب والشجاعة، والمسألة كلها تتوقف على ما إذا كانت رغبتها تدفئ زوجها أو تنفره وتروعه، فهي تروعه إذا ما كانت تتوقع منه أن يدللها ويغازلها. أما إذا ما رغبت هي في ملاطفته فإن هذه الرغبة يمكن أن تكون الغذاء العاطفي الذي كان يحتاج إليه دائماً، وكلما زاد عمر الرجل عاماً أصبح من واجب زوجته أن تجعله يعرف معرفة صريحة مقدار رغبتها فيه.

إن كل إنسان يريد أن يكون مرغوباً فيه، وليس هناك ما يجعل الرجل يشعر برجولته أكثر منه حينما يعلم أن زوجته تريده هو بالذات، بل وربما كان في حاجة إلى من يعشقه ويكلف به ويدلله ويخطب وده، كما يفعل الرجل مع المرأة، وبذلك تتحطم أسباب قلقه كلها، وهكذا تستطيع الزوجة الراغبة في القيام بذلك أن تغير حياة زوجها كلية.

وهنا أرى للزوجة ميزة سعيدة، لأنه بينما نجد من الصعب على الرجل أن يفتن زوجته وينقلها إلى حرارة الشوق، إذا ما كانت دورة حبها في جزر منخفض، فإن معظم الرجال يحتاجون فقط إلى الشعور بأنهم محبوبون ومرغوب فيهم، لكي يجدوا أن رغباتهم أقوى مما كانوا يعتقدون.

إن الغزل والتشبيب عملية ساحرة ودقيقة، وحين يتوقف العشاق عن الغزل والتشبيب بعضهم بالبعض الآخر بآلاف الطرق الصغيرة التي يمكن القيام بها، فمن المؤكد أن الحب يتوقف عن النمو.

ويختلف الغزل باختلاف الناس، وأكثر من هذا فإنه يعني أشياء مختلفة لنفس الناس وفي أوقات مختلفة، فقد يكون بدائياً عنيفاً، منطلقاً من قيود المدينة، كما يمكن أن يكون شعوراً من الاتحاد تنفيذاً لتعاليم الدين، على أنه ليس في الزواج مجال للأفكار التي سبق الاعتقاد بها عنه فيما عدا أن الغزل والتشبيب يؤديان إلى الحب بمعنى الكلمة، وهو الذي يحتاج إليه كل إنسان في هذه الأيام وعلى الأخص الرجال. *(ملخصة من "ساعدي زوجك على أن يبقى حياً" بقلم: حنه ليز)*

هل ينبغي أن نغيّر نظرتنا لأمور الزواج؟

هل حب الرجل والمرأة لمجرد إشباع الغريزة؟ وهل المثل العليا الروحية في التزاوج والوفاء والعفة ليست إلا هراء عاطفياً لا معنى له ولا جدوى من ورائه؟ وهل أحاديثنا وأخلاقيتنا وما كنا نعده منها دائماً احتشاماً بسيطاً قد طغت عليها أنماط جديدة من مكتشفات العلم الحديث؟

إن كثيراً من الناس إذ يخشون أن ينفلت العيار القديم، يثيرون الأسئلة الآتية، ومنهم الآباء والأمهات، كما أن منهم الشبان والأحداث، وتنهال منهم التماسات النصح، لا على مستشاريهم الروحانيين فحسب بل أيضاً على أطباء العائلة ومحرري الصحف وعلماء النفس وأرباب الرأي في مختلف الميادين.. وقد انتخبت أكثر هذه الاستفسارات شيوعاً لتبحثها هيئة مختارة من رجال التربية والعلماء ومدرسي الدين. وأن تعليقاتهم التالية لبرهان على أن هناك فئة من الرأي النابه العلمي لا تزال تتعلق بشدة وقوة إلى المثل العليا وطرق الفضيلة التي ظلت سائدة مقبولة منذ القدم.

وهذه هي بعض التعليقات التي تلقتها الريدرزديجست:

يقول "لو كومت دي نوى" عالم الأحياء الشهير، ومؤلف كتاب "مصير البشرية" في حديث له قبيل وفاته: أن في المادية التي ظهرت اليوم

كثيراً من الأخطاء العلمية، فلا ينبغي أبداً أن ننسى أن أعظم حدث في التاريخ الطبيعي هو مولد الضمير في العقل البشري، وذلك في اللحظة التي تخلى فيها الإنسان عن أقوى غرائزه الطبيعية ألا وهي اهتمامه بنفسه. فحتى تلك اللحظة لم يكن موضع اعتباره إلا ملاذه الخاص وأمنه الشخصي. ولكن الإنسان الجديد صاحب الضمير الوليد أصبح في إمكانه أن يضحي بحياته في سبيل شيء آخر أو شخص آخر؛ فبعد أن ساد الإنسان غرائزه الأنانية والحيوانية، وجد أن روحه وتطوره قد اكتسبا مستقبلاً خلقياً وروحياً. ولا ريب أنه مع مداومة الإنسان ضبط هذه الغرائز بحكمة وتعقل فإن البشرية سوف تسير قدماً حتى تقترب من إحدى صور الحضارة الحقة.

ومن كتاب للدكتور جوشوا لوث ليبمان مؤلف الكتاب "السلام العقلي": هل يمكن قبول حياة الدعارة وعدم الطهارة كجزء من الحياة الطبيعية؟ الجواب على ذلك يجب أن يكون: إن إنكار الشر بصورة فعالة هو جزء من أي حياة محتشمة. والصورة الوحيدة الكاملة البلوغ للعلاقة البشرية بين الرجل والمرأة هي زواج الرجل من امرأة واحدة، وزواج المرأة من رجل واحد، والزاني هو كائن بائس ينحدر من قصة غرام إلى أخرى ودائماً وحيد عابث تعيس. وعلى الرغم من كل ما في عصرنا من زغل وغش حل الجنس والزواج فإنه عصر ضحل جداً لأنه لم يتعلم أن يقول "لا" لبعض الحوافز والإغراءات، وإنني لأعتقد أنه ينبغي على الدين أن يحض الشباب والكبار كليهما على أن يفرقوا بين ما هو لائق محتشم وما

ليس كذلك، لكي يحققوا سيادة النفس التي لا تتأتى إلا حين بتحقق الإنسان من أن النمو الخلقي وحده هو الذي يكسبه الصفاء الداخلي، وأن نبذ الأفعال المضادة للأخلاق والتي تضر النفس والغير على السواء هي العلامة الصادقة لكمال البلوغ والنبل.

ويقول ا. كريس موريسون الرئيس السابق لأكاديمية نيويورك للعلوم: لا يمكن لأحد أن يبطل القانون الأخلاقي، ويتعلق أملنا في الحضارة على إطاعتنا لقانون الأخلاق لا على خضوعنا لغرائزنا الحيوانية، فالعفة والوفاء والاحتشام والاعتدال وكل الفضائل القديمة إن هي إلا جزء من الحكمة المستقطرة من كل العصور، وهي ضرورة سامية لجنس بشري ماجد ولا يتأتى النمو والترقي إلا بحكم النفس فهما وليداه دون سواه.

ويقول جرالد جيري أستاذ الأديان الأخلاقية: كثيراً ما يسمع الشباب أن العفة والعصمة تضران الصحة، وهذا ببساطة غير صحيح، فقد هدمت هذه الفكرة من أساسها كشوف علمية أقرتها دار مندوبي الجمعية الطبية الأمريكية والمجلس البريطاني للصحة الاجتماعية

ويقول دكتور ماريو كاستللو المشترك مع سيسيليا شولز في تأليف "القصة الداخلية للمرأة": أن الزواج والأسرة هما حجرا الزاوية للمجتمع في نظام حضارتنا، ولهذا لا يتلقى اتصال الذكر بالأنثى في حياة مشتركة موافقة المجتمع، إلا حينما يعقد الزواج. والمجتمع حين يمنع العلاقات الخارجة على حدود الزواج إنما يحمي نفسه من الدمار.

والمرأة التي تحطم القواعد الاجتماعية لقومها مصيرها، إن عاجلاً أو آجلاً أن تؤذي نفسها عاطفياً. وحتى لو أمكن تجنب الحمل والعدوى بنجاح، فإن الصراع الذي يقضي على كل صفاء وسلام في العقل، ينجم غالباً من أحوال الحب غير المشروع. وعلى ذلك فإن التبعات النفسية هي من بين العقوبات الناتجة عن العلاقات الجنسية السابقة على الزواج.

ويقول المربي والروائي جون ايرسكاين: هل علينا أن نصدق، ونعتقد أن الشباب يريد أن يعد الجنس وظيفة بدنية دون اعتبار للعقل وللروح؟ إنني حين قابلت روبرت فروست لأول مرة منذ سنين كان مهتماً بشئون التربية اهتمامه بقرض الشعر، وأعتقد أنه كان يفهم طبيعة الصبيان والشبان كأي إنسان آخر عرفته من قبل.

وقد قال لي هذا الشاعر الأمريكي ذات يوم: إنك لو لم تكن مدرساً للصبيان لما استطعت أن تفهم ما تضمنته قصيدة فينوس وأدونيس لشكسبير، فإن رفض أدونيس في حزم أن تغويه الإلهة الجميلة إن هو إلا حقيقة مطابقة لغرائز الشباب العادي.

وفي رأيي أن القصيدة يمكن أن تسمى "في مدح العفة" ولم يصف أحد ذلك المثل الأعلى الروحي والطبيعي في غريزة الشاب أفضل من شكسبير، وإنما نحن كبار السن إذ لا نناصر الشباب فإننا لا نعطي القصيدة حقها من التقدير لأننا نقول لهم أن أسمى أحلامهم وأشدها بريقاً وبهاءً إنما هو مزيف وخاطئ.

ويقول نورمان فينسنت بيل راعي كنيسة ماربل كولجيات بمدينة نيويورك: يأتيني الفتيان قائلين أنه لا يوجد في مفردات العلماء كلمة "غير عادي" ومع ذلك فإنني أخبرهم أن هذه الكلمة تنتمي إلى لغة كل إنسان يؤمن بالإنسانية وبقدرتها على التحسن؛ فمهما يكن عدد القتلة فإن القتل لا يمكن أن يكون عادياً. وعلى الرغم من أن القتل كان شائعاً في وقت من الأوقات، إلا أنه لم يكن عادياً في ذلك الوقت أو في غيره. وقد تقدم الإنسان أخلاقياً وروحياً منذ ذلك الحين حتى أصبح القتل اليوم أمراً شاذاً. وهذا هو الحال في مختلف الأمور الأخرى البعيدة عن التصرف المحتشم اللائق، ولا ينبغي قط أن نعتقد أن الشاذ والخطأ، حتى ولو كانا شائعين، يمكن أن يكونا عاديين أو صحيحين. ولا ينبغي أن يكون الإنسان عبداً إلى الأبد لحاجاته الاضطرارية، فإذا سمت نظرته أمكنه أن يرى آراء جديدة وأن يحققها في حياته الشخصية.

ويقول دكتور ريتشارد هوفمان الطبيب النفساني والخبير الأخصائي في كثير من القضايا الجنائية: ما زال صحيحاً أن "قاهر نفسه أعظم من قاهر مدينة" وليست القيم الأخلاقية إلا نتيجة للإرادة والذكاء اللذين يمكناننا من وضع أنفسنا هناً للنظام، والإنسان بطبيعته يميل في شراسة وجشع إلى إشباع شهواته، بيد أنه يكون عبداً إذا سلم قيادة لهذه الشهوات. وهو إنما يتحرر حين يسود عقله، لا إحدى غرائزه الحيوانية، على طريق حياته.

ويقول روبرت هيليار الشاعر الحاصل على جائزة بولينزر: إنما يسعد الفتيان حينما نذكرهم بأن الجنس شيء ظاهر مقدس. ولست أعتقد أن

مثل الشباب العليا مهددة في الواقع تهديداً خطيراً؛ فقد لاحظت أن التفكير السليم وروح الفكاهة ينالان نصيباً من العناية في هذا المضمار، بيد أنه من المحزن أن نرى العلم يتنافس مع القصص الخيالية.

ويقول الكاتب نورمان إنجيل: أنني أشك كثيراً فيما لو كان الشبان الذين تربوا في ظروف العهد الفيكتوري الرجعي أقل سعادة من شبان اليوم في وقت يتعرض فيه الجنس إلى التحرر الكبير، كما أضحى فيه الزواج من زوجة واحدة أو من زوج واحد مسألة فيها نظر. ومع كل فإن الزواج من واحدة هو تراث من التعاليم، القصد منه إصلاح شرور نظام اجتماعي سابق.

ويقول ج. ادجار هوفر رئيس مكتب البعوث الفيدرالي: من المهم لمستقبل حضارتنا بالذات أن تتعلق بإيماننا بشدة، وإحساس الإنسان بالاحتشام هو الذي يعلن ما هو عادي وما هو غير عادي وكلما توصل الناس كباراً وصغاراً إلى الاعتقاد بعد وجود مقياس للصحيح أو الخطأ وللعادي أو غير العادي، فسوف يصفق إعجاباً أولئك الذين يريدون القضاء على مدنيتنا كما لو أنهم أحرزوا نصراً رئيسياً في طريقة حياتنا.

طريق السعادة الزوجية

"الزواج" و"عش الزوجية الهانئ"، ألفاظ جميلة تمثل معان، لعلها أجمل وأرق ما يرد على حياة البشر، رجالاً كانوا أم نساءً، فأين هي الفتاة التي لا تعتبر يوم زفافها قمة الآمال وغاية المنى العذاب؟ وأين هو الشاب الذي لا ينتظر ذلك اليوم الموعود في شوق ولهفة؟ وأين العجوز الذي لا يتذكر أو التي لا تتذكر ذلك اليوم بغير دمعة تترقرق في الجفن، وخفقة يختلج بها القلب، وومضة تلمع بها العين؟

والواقع أن الزواج، على قدمه في الجماعة البشرية قدماً لا يدرك له مدى، لا يزال من أعقد الأمور، ولا يزال الإنسان يجهله.

وخير شاهد على ما نقول كثرة ما تطالعنا به الصحف من المآسي، وما تتمخض عنه نسبة كبيرة من الزيجات من فشل وفضائح ، مع ما يبدو في الظاهر من توفر عوامل النجاح والسعادة والتوفيق. وفي هذا وحده ما يكفي لتبرير موضوع هذا الكتاب، الذي يعالج المشاكل الجسدية والنفسية المتعلقة بالزواج في صراحة علمية، مع بساطة وتشويق، بحيث يشعر كل قارئ وقارئة أن الكتاب يعالج أموره هو شخصياً، ويرسم له طريق المستقبل الموفق في رفق وبصيرة.

روح العصر

"المرأة والرجل" هما القطبان اللذان يتكون منهما المحور الذي تدور حوله الحياة في كل زمان ومكان؛ فالعلاقة بين الجنسين في نطاق الشرائع أو خارج هذا النطاق، هي العامل الأساسي والقوة الدافعة في كل حركة من حركات الأفراد والجماعات. فإذا دخلت أي دار من دور الصور المتحركة، فإنك واجد فيلماً يدور ولا شك حول مشكلة للمرأة أو للرجل فيها نصيب كبير. وإذا فتحت صحيفة من الصحف، وجدت الإعلانات لا تستغل شيئاً لاجتذاب الناس إلى معروضاتها كما تستغل جاذبية الجنس المنبعثة من المرأة أو من الرجل؛ فلا شيء يغري المرأة بشراء جورب أنيق أو عطر رقيق مثل رغبتها في اجتذاب إعجاب الرجل. ولا شيء يغري الرجل بشراء معجون الأسنان أو موسى للحلاقة أو رباط عنق فاخر مثل رغبته بل لهفته على استهواء حواء!

زوايا الموضوع

والواقع أن المجتمع الحديث ينظر إلى العلاقة بين الجنسين من زاوية لا تخرج عن واحدة من ثلاث؛ فالناس إما "مادي" يرى أنه لا صلة بين رجل وامرأة إلا صلة الجسد والتفاعل الحيوي الذي يؤدي إلى إنجاب النسل واستمرار النوع البشري، أو "عاطفي" لا ينكر الجانب الجسدي أو الحيوي، ولكنه يجعله تابعاً ثانوياً للصلة العاطفية والمشاعر الوجدانية، أو "واقعي" يمزج بين النظرتين، ويضيف إليهما عامل الدين والمصلحة

الاجتماعية التي ترى في الزواج ضرورة لا بد منها للاستقرار في الحياة وتحمل أعبائها ومقتضيات النهوض بتبعاتها الجسام في مراحل العمر المختلفة، ولا سيما حينما يدبر الشباب وتنتهي مرحلة العواطف المتأججة والميول الجامحة.

متاع الساعة.. أو الزواج المادي

فكأننا بالمادي من الناس في هذه الحياة لا يستوحي في علاقته بالجنس الآخر إلا متاع الساعة. فالرجل ينظر إلى امرأة تستهويه، والمرأة تنظر إلى رجل يعجبها، فيفكر كل واحد منهما في الاتصال بالآخر اتصالاً كل غايته الحصول على إرواء ظمئه الجنسي الطارئ وإرضاء رغبته المشتعلة، حتى إذا تم هذا الغرض المتكافئ المتبادل انتهى كل ما بينهما من اهتمام وصلة، لا تتجاوز متاع اللحظة العابرة إلى الاهتمام "بالشخص" الآخر من حيث هو في ذاته. فكأن الشريك في مثل هذه الصلة الجامحة السريعة الانتهاء بمثابة "بندقة" حصل الطرف الآخر على الثمرة الداخلية منها، فلم يبق له أي مأرب في الاحتفاظ بالقشرة المكسورة، وليس يعنيه مصيرها بعد أن يطرحها من يده: هل تهشمها الأقدام، أو يلقى بها وقوداً وطعماً للنيران في أتون الحياة!

القناع الواقي

وقد يحدث في بعض الأحيان أن يعجب كل طرف من الجنسين بالطرف الآخر إعجاباً مبعثه المتعة الجسمية البحتة، بحيث يتطلع الطرفان إلى الارتباط بصفة مستمرة على هذا النحو الذي يشبع نهمهما وتوافقهما الحيوي، وحينئذ قد يفكران في الزواج، ولكن الزواج في هذه الحالة يكون مجرد "ستار" أو "قناع واق" من غارات الانتقاد الاجتماعي وما يحمله في طواياه من مضايقات قد تفسد جو اللذة، وهذا النوع من الزواج القائم بصفة رئيسية على التوافق الجسماني والإرضاء الحيوي المتبادل، قد تسنده وتشد أزره عوامل اقتصادية أو تناسب في المركز الاجتماعي، ولكنه يظل على كل حال رهناً بدوام التوافق واستمراره، فإذا حدث أن تسرب التصدع إلى بنيان ذلك التوافق من أي ناحية أخذت هوة الشقاق تتسع بين الزوجين، حتى ينتهي الأمر في الغالب إلى تلك النهاية الأسيفة التي لا مناص منها في مثل هذه الحالات وهي الطلاق..

سهام كيوبيد.. أو الزواج العاطفي

فالعنصر الذي كان ينقص ذلك النوع من الزواج كي يضمن له صفة الدوام والتغلب على عوامل التفرقة والتفكك هو العنصر الوجداني؛ فالذي "يشتهي" يريد أن يأخذ أو ينال اللذة. أما الذي "يحب" فأغلب همه أن يعطي المتعة لمحبوبه وينيله إياها، وهذا ما يجعل لما يحصل عليه هو من المتعة قيمة كبرى في ناظريه؛ فالاهتمام بالمحبوب هو النتيجة الأولى

للإصابة بسهام كيوبيد، بحيث تغدو صحبة المحبوب والائتناس بجواره هي الرغبة الجامحة التي لا محيص للمحب عن تحقيقها أو تغدو الحياة في ناظريه جحيماً لا يطاق، لأنها تفقد حينئذ كل معنى وكل قيمة، فإذا وفق الحبيبان وتوافقا في موجة عاطفية واحدة، تم الزواج بينهما، لأنه خير نظام يكفل لهما أكبر قسط من الصحبة في موكب العمر، ومثل هذا الزواج يجعل الرجل والمرأة كليهما أقدر على التغلب على ما تحدثه الظروف في الصلة بينهما من صدوع، لأن كلاً منهما يؤثر صاحبه ويعزه ويقدمه على كل اعتبار آخر من اعتبارات المصلحة أو اللذة العابرة

ولكن المشاكل مع هذا لا تعفيهما في الغالب من هجماتها المقلقة، فإذا لم ينته الزواج بالطلاق فإنه يبقى على كل حال عرضة للشقاء أو المنغصات من حيث كان الزوجان ينتظران السعادة وأحلامها الذهبية الخلابة التي صورتها ريشة ذلك الماكر "كيوبيد"!

بين بين.. أو الزواج الواقعي

أما الموقف الوسط بين المادية والعاطفية، فهو موقف من يقدر الزواج حق قدره، لا من حيث هو مجرد شهوة عارمة، أو عاطفة متقدة، بل من حيث هو ارتباط بمسئوليات المستقبل بين إسعاد للزوجة، وإسعاد للأطفال، وقيام بتربية جيل جديد من البشر، بما يرضي الخلق الكريم، والمجتمع المهذب، والوطن، وقبل هذا كله بما يرضي الله الذي جعل الزواج

ركناً أساسياً لاستقرار الحياة وقيام الفضائل الفردية والاجتماعية، وتقدم النوع البشري.

الزواج ليس متعة فحسب...

- وإن من يتأمل إحصائيات الطلاق، ويفحص الأسباب الغالبة للشقاء الزوجي والانفصال، حري أن يتبين علاج آفة الطلاق رهنا بأن يستقر في الأذهان أن الزواج ليس نظاماً قصد به راحة الناس وإدخال السرور على نفوسهم وقضاء مصالحهم ومآربهم فحسب، بل هو قبل ذلك كله "مسئولية" متبادلة بين الزوجين، وتعاون مشترك على تكوين "الخلية الأولى" التي يتكون منها بناء المجتمع الإنساني؛ فالنظرة الواقعية إلى الحياة وإلى الزواج كفيلة بأن تزيل ما يحدث بين الزوجين من سوء التفاهم و"خيبة الأمل" التي تنجم عن أوهام اللذة الجنسية الصارخة التي يتوقع بعض السذج دوامها في ظل الزواج إلى الأبد، والتي قد تنجم أيضاً عن الإغراق في الخيالات العاطفية..

- فمتى عرف الزوجان أن الزواج ليس معناه استمتاعاً مستمراً أو أناشيد غرامية لا تنقطع بالليل والنهار، تبين لهما أن الحياة تتطلب إلى جانب أناشيد الغرام والقبلات الدافئة سعياً وراء الرزق، ومعاناة للمتاعب والآلام، ومن ثم ينبغي أن لا تفجع الزوجة إذا دخل زوجها من عمله الشاق مضعضع الحواس فنام نوماً عميقاً دون أن يلتفت لمحاسنها المستيقظة..كما ينبغي أن لا يفجع الزوج إذا وجد زوجته

آخر النهار شاحبة الوجه لا تكاد تفتح عينيها من فرط الإعياء الذي أصابها من الطبخ والكنس وتعهد الطفل.. فهذه أيضاً هي الحياة؟ كما أن العناق والقبلات وقصائد الغزل جانب آخر من الحياة، ومنطق الواقع هو الذي يستطيع وحده أن يجمع بين هذين النقيضين في إدراك الرجل والمرأة، فيقبلان الحياة كما هي، ويريانها على حقيقتها، فلا تفزعهما تلك الحقيقة إذا اكتشفاها بعد إغراق في الوهم والخيال.

وفي التأني السلامة..

لهذا ننصح كل رجل وامرأة، أول ما ننصحهما بالتأني في اختيار الشريك، فالذي يشتري ثوباً يدقق في فحص نسيجه ولونه وشكله، والذي يشتري سيارة يدقق في فحص مزاياها وعيوبها وحساب ميزانيتها وأعباء حيازتها وصيانتها؛ فلا يجب أن يكون اختيار زوج أو زوجة عملاً أقل خطراً وجدارة بالاهتمام والأناة من تفصيل فستان أو شراء سيارة جديدة أو مستعملة..

ونستطيع أن نستطرد في هذا التشبيه فنقول أن الأحمق هو الذي يجهل جمال الشكل هو المزكي الوحيد لشراء الثوب أو السيارة، وأحمق منه يجعل الجمال الظاهري هو المرجع الوحيد لاختيار شريك العمر أو شريكته، بل الأولى أن يكون المرجع في الاختيار هو "المتانة" أو "الاقتصاد في الاستهلاك" أو "الراحة"، ولكن مع تحري توفر أكبر نسبة من جميع هذه العناصر أو معظمها "البضاعة" التي يقع عليها الاختيار.

وهناك عامل آخر لا شك في أهميته الكبيرة، ألا وهو "البيت"؛ فيجب أن يكون كلا الطرفين مدركاً تمام الإدراك أن تكوين البيت وإقامة صرح الأسرة هو الهدف المشترك الذي ينبغي أن يعمل له كلاهما، ويضحيا في سبيله بجانب كبير من راحتهما ومآربهما الشخصية؛ فهذا العامل هو الذي يكفل "وسطاً مشتركاً" أو "حداً مشتركاً" متفاهماً بينهما، لا يختلفان فيه إذا اختلفا في غيره، أو "رأس كوبري" يعبران عليه من شاطئ الائتلاف والتفاهم مرة أخرى؛ فالذي لا شك فيه أنه ما من زوجين بمأمن من الخلاف في أي وقت، لسبب أو لآخر، فالأمان من الخلافات لا يتسنى إلا بوجود أرض بمثابة شقة حرام يقدسها الطرفان ولا يتطرق إلى حماها الخصام بأي حال من الأحوال.

وهذه الشقة الحرام هي "البيت" أو "الأسرة"، ولكن ما يجب التنبيه إليه أن العقل وحده لا يكفي للتأليف بين الشريكين، بل يجب على كل حال أن يكون هناك "عاطفة" تستمد حرارتها من التقدير المتبادل كما تستمدها من الرغبة المتبادلة والحب والحنان..

مرحلة الخطبة

أصبحت الخطبة في السنوات الأخيرة كثيراً ما تتم بغير مراسم اجتماعية أو إذاعة رسمية للخبر. وليس هذا ذا بال في الواقع، لأن أفراد البيئة التي يعيش فيها الخطيبان سرعان ما يعلمون الخبر أو يكتشفونه، فيسارعون في هذه الحالة إلى "منح كافة التسهيلات" للخطيبين، وهذه

"التسهيلات" أو "التشهيلات" قد تكون أهم ما يميز فترة الخطوبة بالنسبة للفتى والفتاة؛ فقد درج المجتمع على الإغضاء في شيء من العطف والتواطؤ عن معظم ما يجري بين الخطيبين، مما يستحق أن يكون محل نقد شديد لو لم تكن الخطبة بمثابة "دهليز" يفضي إلى مخدع الزوجية!

وفي نظرنا أن أهمية مرحلة الخطبة ليست في هذه التسهيلات من حيث لذتها الحسية. كلا! بل في تمكين الخطيبين من الاختلاط والصحبة في حالة من "رفع التكليف" تكاد تشبه فترة الزواج من حيث التفاهم على المشاكل المشتركة ومناقشتها، مما يساعد على كشف النقاب عن مدى ما يمكن أن يكون من الاختلاف بين الطبعين والمزاجين، تمهيداً لتلافي هذا الخلاف حينما تصبح الصلة بينهما بالزواج عروة وثقا لا انفصام لها.

ومما يدعو إلى القلق ما درج بعضهم عليه في الزمن الأخير من تقصير أمد الخطبة إلى حد غير معقول، فكثيراً ما نسمع عن خطبة تعقد يوماً، ليعقبها عقد الزواج في الغد مباشرة، فلا تكون هناك مرحلة خطبة بالمعنى المعروف مع أن هذه المرحلة ضرورية لإيجاد "التأقلم" أو "التكيف" أو "الملاءمة" بين الرجل والمرأة؛ فما أشبه مرحلة الخطبة بالفترة التي تمر على الإنسان حين ينتقل من مكان شديد الضوء جداً إلى مكان معتم نوعاً ما، فلا بد من مدة تظل فيها العين عاجزة عن الرؤية حتى "تتأقلم" أو "تتكيف" بالحالة الجديدة، وتتيسر لها الرؤية الطبيعية، أو لعلها تشبه فترة "ضبط الموجة" في آلة الراديو على محطة إرسال معينة، حتى يتيسر للآلة استقبال الإذاعات بدون "شوشرة" أو "حشرجة".

ولا يجب أن ننسى أن فترة الخطبة هي الفترة التي يتاح حل مشاكل يغلب أن يثيرها الزواج، قبل أن تصدم الزوجين ويستعصي على الحل. وأهم تلك المشاكل مشاكل الميزانية الجديدة ونفقات البيت ونظام إدارته والمستوى المناسب للمعيشة، وهذا أهم ما يجب أن تهتم به الخطيبة على الخصوص، لأنها هي التي ستحمل ذلك العبء، وسيكون عليها أن تعاني مشكلاته التي أصبحت شائكة جداً في أيامنا هذه، وكم من زواج أغفلت فيه هذه الناحية حتى انتهى إلى فشل أو كارثة.

وفي مرحلة الخطبة أيضاً تتاح أحسن الفرص لمناقشة مسألة "الجهاز" وتأثيث البيت وترتيبه بما يوافق المزاجين بقدر الإمكان، ولعل إيجاد "محل السكن" نفسه قد أصبح – بالنسبة لأزمة المساكن الحالية _ أهم من تأثيث المسكن وترتيبه؛ فقد يتعين بسبب بهاظة النفقات أن يعيش الزوجان في بيت أهل أحدهما؛ فيجب أن يبحث الخطيبان هذه المسألة الشائكة جداً بين العقل والحذر، بحيث لا تطغى عليهما الرغبة في تعجل "ليلة الزفاف" فيغفلان عن هذه المسألة الجوهرية التي تظهر مرارتها بعد انقضاء "فترة العسل" بنشوتها العابرة.

رفقاً بالعذارى

ولعل أهم واجب على الخطيب _ باعتباره أخبر الطرفين بالحياة _ أن ينتهز فترة الخطبة للتمهيد عند خطيبته _ إذا كانت ساذجة جاهلة بواقع العلاقات الجنسية _ لكي تتكون عندها، بكل رفق وكياسة، فكرة عن

وظائف الجسم الحيوية وعلاقتها بالزواج وإنجاب الأطفال، بحيث تتفتح الفتاة بالزواج تفتحاً طبيعياً، عن ميل لا عنوة ودفعة واحدة، وإلا نفرت من الزواج ومن الزوج إلى الأبد!

وأهم هذه التمهيدات الدقيقة الشائكة هو محو فكرة "التأثم" من الصلة الجنسية الشرعية من ذهن الفتاة، وإشعارها أن هذه الوظائف الطبيعية لا عار فيها ما دامت في حدود الكرامة الإنسانية، أي نتيجة حب وتفاهم، فلا تجد الفتاة بعد ذلك حائلاً من الحياء الخاطئ يحول دون إتمام سعادتها الجنسية عند الزواج.

تحديد النسل..

كما يجب أيضاً أن يتفاهم الخطيبان المستنيران على مسألة الأطفال، فمن الخطأ ألا ينتظرا من زواجهما ثمرته الطبيعية، ومن الخير إذن أن يناقشا هذه الثمرة مقدماً، فيتفقا على نظام الإطلاق في النسل، أو على تحديد النسل، كيفما يريدان، وبحسب ما يوافق ظروفهما. على أنه يجب أن يستقر في ذهنهما جيداً، وعن تفاهم صريح، أن الطفل متى حل ضيفاً على أحشاء الأم صار عليها أن تحيطه بكل أسباب الرعاية والإكرام والإعزاز، قبل أن ترى وجهه الجميل بشهور طويلة، حتى إذا برز إلى النور، كانت العناية به مقدمة على كل شيء، مهما كلفت تلك العناية أمه وأباه عن مضايقات.

ثم هل ننسى، في مقام الرفق بالعذارى، واجب الفحص الطبي في فترة الخطبة؟.. فإنه من أوجب الواجبات أن يتأكد الزوج على الخصوص من خلوة من العوائق الصحية، سواء من الناحية الجنسية أو غير الجنسية، قبل الإقدام على عقد القران.. ويحسن أيضاً أن تتبين الفتاة خلوها من أي مرض شخصي أو وراثي، بتحليل الدم وما إلى ذلك، حتى لا تكون هناك جناية من أحد الخطيبين على الآخر، وعلى نسلهما في المستقبل.

العفة قبل الزواج

ويجب في جميع الأحوال ألا يتورط الخطيبان في قيام علاقة جنسية بينهما في فترة الخطبة، بتمام معنى العلاقة الجنسية؛ فإن أخطار ذلك كثيرة جداً، ولاسيما على الفتاة، فقد يتدخل القدر بأي شكل فيختطف الخطيب قبل إتمام الزواج؛ فتكون الطامة الكبرى بالنسبة للفتاة!.. ولا يندر أن تكون ثمرة ذلك الاتصال الجنسي قد تحركت فعلاً في أحشائها. فمن الخطأ الشائع الظن أن موانع الحمل من أي نوع كفيلة بمنعه مائة في المائة.. يضاف إلى هذا أن مثل هذه الصلة حتى إذا سترها الزواج لا تحول دون إفساد الاحترام والتقدير من جهة الزوج لزوجته التي أباحت له نفسها قبل الزواج، ولا يحول دون غضب الله الذي يحتاج الزوجان إلى رضاه سبحانه وتعالى لمباركة رباطهما الوثيق.

حفلة القران..

كثيراً ما يكون لحفلة القران أوفى نصيب أحلام الفتاة، فهي ترى في أحلام اليقظة والمنام مشاهد ذلك اليوم، في أبهى زينة وأحسن نظام، ولكن يجب الحذر من التمادي في الاندفاع وراء تلك الأحلام، فإن نفقات الحياة في هذه السنوات أصبحت مرهقة، فناهيك إذن بنفقات الحفلات الباذخة؛ فهي ترف لا يستطيعه فعلاً إلا كبار الأغنياء والثراة وإن كان الكثيرون ممكن ليسوا من كبار الأثرياء يحبون أن يخدعوا أنفسهم أو يوهموا الناس بأنهم منهم..

وليس في هذا ضير لولا ما يجره على "الميزانية" الناشئة من الأضرار والهزات التي قد لا تحتملهما وهي لا تزال لدنة العود، بل أن الهزات قد تتجاوز الناحية "المالية" إلى "الصحة" و"الشئون الداخلية"؛ فالفتاة العاطفية التي تتزوج في حفل رنان، يملي لها الخيال فتتوقع الحياة في مستوى يناسب ذلك الحفل بصفة دائمة، فيصدمها الواقع المر وقد تتبرم بحياتها، ويؤثر ذلك على علاقاتها الداخلية بزوجها دون أن تدري.

فخير ما ننصح به الزوجين المتوسطي الحال أن يكتفيا بحفل بسيط قاصر على الأهل وأقرب الأصدقاء، مع الإقلال من النفقات الكمالية قدر الإمكان، حتى يستفيدا من الاقتصاد في شراء ما هو أنفع، أو في ادخاره للطوارئ، وحتى يستقر في ذهنهما منذ البداية أن الحياة واقع لا

خيال، وأنها "مقالة منثورة" وليست "قصيدة من الشعر" من النوع الساخن!

والحقيقة أن أهم ما في حفلة القران ليس "زفة العرس" بل الارتباط الخطير بين قلبين وجسدين، ارتباطاً أبدياً في السراء والضراء، فمن الخير ألا تكون هناك مظاهر تشوشه وتطمسه.

جسد واحد...

أول ما يواجه العروسان بعد العقد هو أنه قد صرح لهما من المجتمع، وبسنة الرحمن، أن يكونا منذ الساعة "جسداً واحداً"، والحق أنهما سيشعران في الفترة الأولى أن مسألة هذا "الجسد الواحد" أهم ما مر بهما في حياتهما.

ولكن يجب ألا يغرب عن البال أن "الاتصال الجنسي الأول" قد يكون أخطر خطوة في حياة العروسين، لأنه سيتوقف عليه كثير من النتائج في المستقبل؛ فيجب أن يكون هناك تمهيد كاف قبل الإقدام عليه، بحيث تكون هناك رغبة أو ارتقاب له من جانب العروس؛ فلا تشعر أنه اعتدى عليها في أمس شيء من جسدها بسريرتها الداخلية؛ فالشيء الكثير يتوقف على شعور العروس بالنشوة في الاتصال الأول بزوجها، أو شعورها بأنها "فريسة" منتهكة ممزقة؛ فالرجل بعد ذلك إما أن تكون صورته في قراره نفسها صورة إله معبود، أو صورة وحش منفر ترتعد منه الفرائص..

ويجب ألا ننسى أن الاتصال الجنسي الأول إذا جاء موفقاً، شعرت العروس بالنشوة واستقامت طبيعتها الجنسية. أما إذا لازم الفشل ذلك الاتصال وكان العريس غير كيس أو لبق، أعقب ذلك الاتصال نفور واحتقار لنفسها وتقزز، يشوه طبيعتها الجنسية بعد ذلك على طول المدى، بحيث لا "تتجاوب" مع الرجل أقل تجاوب نفسي أو حسي..

كذلك يحسن عدم الإفراط في الاتصال الجنسي في البداية، حتى لا يرسخ في ذهن العروس أنه هو أساس الزواج الوحيد، وأنه لا بد أن يدوم لكي تبقى للزواج سعادته؛ فالزواج صلة روحية كما أنه صلة جسدية، وكما يصير الزوجان جسداً واحداً، كذلك يصيران _ أو ينبغي أن يصيرا _ روحاً واحداً وعقلاً واحداً بقدر الإمكان، فيجب العناية بتنمية لذات الصحبة العقلية والروحية والعاطفية إلى جانب الصحبة الجنسية، فلا يكون الزواج قائماً على "رجل واحدة"، فإذا أصابها العرج في أي وقت انهار الزواج من أساسه؛ فليحرص الزوجان على تقوية "الرجل الأخرى" منذ البداية!

هذان الغريبان

في أحيان كثيرة يجد الزوجان الجديدان نفسيهما أشبه بالغريبين في ليلة الزفاف، كأنهما لم يلتقيا من قبل، وهذا شائع عندما تكون الخطبة قد تمت بتدبير العائلة، لا عن علاقة هوى سابقة؛ فإن علاقة الخطيبين شيء، والنوم وقضاء الليل كله في فراش واحد أو في حجرة واحدة شيء آخر، ولا سيما بالنسبة للفتاة التي يغلب ألا تكون قد قضت الليل في حجرة واحدة مع

شخص بالغ من الرجال، حتى ولو كان أباها أو شقيقها. فمهما يكن من حبها للعريس، أو ميلها الجنسي إليه، فإنها تستغرب هذه الخلوة ولو بعض الاستغراب، وتجد أنها قد تعرضت للون جديد من المعيشة لم تألفه، ولعلها ترى أن هذا اللون الجديد أفضل وألذ وأمتع، ولكن للعادة المتأصلة والألفة نفوذها الخارق، وتغييرها ولو إلى ما هو أفضل شيء صعب على النفس حتماً.

لهذا يجب أن يحترم كل منهما هذا الاستيحاش أو هذه الغربة في الشخص الآخر، فلا يصدم عواطفه وعوائده دفعة واحدة، بل يحاول مجاملته وملاينته حتى تتمكن العادات الجديدة من نفسه وتذهب وحشته.

يضاف إلى هذا أنه كثيراً ما يجد العروسان نفسيهما في غاية الإعياء بعد متاعب الزفاف الجسدية والعصبية، فلموقف القران رهبته وهزته ولا مراء، فإذا بالليلة التي أنفقا العمر في تخيلها حافلة بالمتع واللذات والأنس، فقد تكشفت عن رغبة بل حاجة ملحة إلى النوم، كأنهما لم يلتقيا في صعيد واحد، ولم يغلق عليهما باب مخدع واحد باسم الله، وباسم القانون والعرف الموضوع.. وفي هذه الحالة يجب أن يفهم كل منهما أن الواجب والعقل يقضيان بالإخلاد إلى الراحة، وحتى لا يبدءا صفحة علاقاتهما الجديدة بداية سيئة، فالأوفق أن ينتظرا حتى تتجدد القوى، لكي تكون ذكرى الاتصال الجنسي الأول زادا جميلاً دافئاً للمستقبل، بما يحمل في طواياه من الأيام السمان أو الأيام العجاف..

أما إذا أخطأ العروسان ومارسا الاتصال الجنسي رغم تعبهما، لخجل كل منهما خجلاً يحول دون مصارحة صاحبة بتعبه وإعيائه، ونجم عن ذلك قصور عن بلوغ المأمول من النشوة، فيجب ألا يعوقهما ذلك عن محاولة ما هو أحسن وأوفق في هذا الباب في ظروف أخرى، كي لا تفسد تلك المحاولة الفاشلة قابليتهما للمعاشرة الجنسية.

التحرر من الخجل

وليكن مفهوماً قبل كل شيء أنه لا سبيل إلى السعادة الجنسية الكاملة بين الزوجين بدون انطلاق وتحرر من الخجل الكاذب، لأن أساس السعادة الجنسية هو الاستسلام للذة الحسية بدون مقاومة أو تمنع، وطلب ما تحققه تلك اللذة بصراحة وبغير كتمان، ولا ينجح زواج بغير ذلك الشرط. وإلا صار الزواج شيئاً لا لذة فيه بالقياس إلى الصلات غير الشرعية، التي يتحرر فيها الطرفان تحرراً تاماً في سبيل إرضاء رغبتهما المشتركة.

وقد يتعسر تحقيق هذا الانطلاق ولا سيما لدى الفتيات _ والفتيان أحياناً _ الذين تربوا في بيئات تحرم على نفسها مناقشة أسرار الحياة الجنسية أو الإشارة إلى شيء يتصل بها؛ فواجب الطرف الآخر في هذه الحالة أن يحطم "السور"، سور الخجل غير المرغوب فيه، حتى يكون امتزاجهما تاماً في موجة حسية واحدة، ويتحقق ما عنى بالزواج من أنه "جسد واحد للرجل والمرأة"..

وأهم وسائل ذلك التحطيم هو التفاهم اللفظي وشرح أسرار اللذة والاتصال الجنسي والتفاعل الذي يحدث في الأعصاب، بحيث يشرع الزوجان في ممارسة الاتصال الجنسي ولديهما النية الصادقة لمحاولة نزع كل حياء وتحطيم كل ما يعوق دون الوصول إلى الغاية المنشودة.

وليعلم الزوجان أن واجب كل منهما أن يربي نفسه وصاحبه تربية جنسية عملية من جديد، فليست علاقتهما بنت ساعتها، لهذا يجب أن يروضا جسديهما على التوافق العصبي والحسي، بحيث يحصلان على أوفى نصيب من المتعة المشتركة، عن طريق "منح الذات" للطرف الآخر.

أما عدم توفر عنصر "المنح" أو "الاستسلام" فإنه يؤدي إلى عدم اكتراث الرجل، بمضي الوقت، بإرضاء رغبة المرأة الجنسية، فيقتصر همه على إرضاء رغبته الخاصة فقط من الاتصال الجنسي، هذا إذا لم ينشد اللذة المتكافئة المتبادلة في علاقة أخرى خارج نطاق الزوجية، أو بإبدال زوجة بزوجة، أو بغير ذلك.

وينبغي أن يستقر في الأذهان أن الاتصال الجنسي الكامل بين الزوجين ليس مجرد السفاد البهيمي، وإنما هو تعبير عن عاطفة الحب والإعزاز والامتزاج الوجداني عن طريق الحركات لقصور في لغة الكلام عن نقل هذا النوع من الإحساس الجياش؛ فهذا الأساس الوجداني هو الذي يجعل من الاتصال الجنسي قيمة عاطفية خاصة تعصم الطرفين من طلب اللذة البهيمية في خارج نطاق الحب الزوجي المشروع.

العش السعيد

ما من بيت يستحق هذا الاسم _ اسم البيت _ إذا كان مجرد مكان تجتمع فيه الأسرة للطعام والشراب والمنام، كأنه فندق أو خان؛ فليس عش الزوجية السعيد أو بيت الأسرة مكاناً فحسب، بل هو موطن نفسي ومسكن، بمعنى أن النفس تسكن إليه سكون الطفل إلى صدر أمه الحنون؛ فنحن نعود إلى البيت كما تعود السفينة إلى المرفأ ناحية فيه من زعازع الأنواء في عرض البحر؛ فنلقي إليه بأحمالنا وننسى فيه متاعبنا وننعم فيه بدفء عاطفي قبل الدفء المادي المنبعث من الموقد والمدفأة. ذلك أن فيه شريكنا الروحي، الزوج أو الزوجة، وفيه بناء حياتنا المشترك، ومساهمتنا المتواضعة في سلسلة النوع البشري، ونعني بهم الأطفال.

فمن أراد أن يبني عش الزوجية السعيد يجب أن يحل هذه الاعتبارات محل الرعاية التامة، فلا يكتم عن شريكه في العش سراً، بحيث يغدو العش كأنه صدر كبير يجد فيه متنفساً عما يضيق به صدره الصغير. ويجد في قلب شريكه أو شريكته جواباً وصدى لما في نفسه، كما تجد الآلة الموسيقية جوابها في صوت آله أخرى يحركها عازف ماهر بناءً على "نوتة موسيقية" واحدة، وهذه النوتة الواحدة هي السعادة العائلية، وهذا العازف الماهر هو الحب بين الزوجين.

زينة الحياة الدنيا

ولا تتم السعادة حقاً إلا بثمرة جميلة تتناسب مع جمال العاطفة التي تربط الزوجين، وهذه الثمرة هي الأطفال؛ فالزوجان المتحابان حباً كاملاً، لا مجرد اشتباك جسدي سطحي، يميلان حتما لإنجاب أطفال هم بمثابة آية حية على هذه العاطفة التي يحسان بحياتها سارية في حياتهما وجامعة بينهما في موجة جنسية ووجدانية واحدة.

والواقع أن إنجاب الأطفال عامة تقوية لصرح السعادة الزوجية الحقيقية، لأنهم يجسمون للزوجين ما في حبهما من جمال وحياة، ويكونون بمثابة رباط جديد يوثق ما بينهما من ارتباط، ولئن برزت بإنجاب الأطفال مشكلات عديدة لم يكن لها من قبل ولادتهم وجود، مثل مسألة النفقات اللازم توفيرها لحاجاتهم، ومشاكل التربية والعناية المادية كالتغذية والتمريض، فإن لهذه المضايقات مقابلاً من المتع الجديدة، ومنها متعة مداعبتهم، والتلهي بلهوهم ومناغاتهم؛ فالبنون زينة الحياة الدنيا، ولا يعرف مبلغ ما في هذه الحكمة السامية زينة الحياة الدنيا، ولا يعرف مبلغ ما في هذه الحكمة السامية من عمق إلا قلب أب أو قلب أم، "فلا بهجة لبيت بغير أطفال، ولا بهجة لحديقة بغير أزهار، ولا بهجة لحياة بغير حب وتراحم" كما قال دستويفسكي الخالد في إحدى قصصه الرائعة.

النعمة الكبرى

ولكن النعمة الكبرى في الحياة الزوجية لا تتم إلا بشيء يجب ألا ننساه، وهو الإيمان بالله والتوكل عليه، فهو الذي يلهم الزوجين الحب المتبادل، ويهديهما سواء السبيل، ويرزقهما اليسر والرخاء والبنين، ويسهل ويهون على نفسيهما مشاق الحياة، وما أكثرها ولا سيما في هذا الزمن الأخير.

ولا عجب! فإن الحب سر الله في خليقته، جملة في أعيننا وقلوبنا كي يتكاثر الناس ويقبلوا راضين على حمل تبعات الزواج والأسرة وتربية الأولاد؛ فالزواج سنته، والحب حكمته، والخير غايته وارداته. (من كتاب "المرشد للسعادة الزوجية" للباحث: فردريك برينك)

زواجا هنيئا وبيوتا سعيدة

كثيراً ما يحدث أن ترى فتى وفتاة يحب كل منهما الآخر حباً عميقاً، فينتهي أمرهما إلى زواج موفق سعيد، ولكنك لا تلبث بعد أشهر قلائل أن ترى عوامل النفور والخلاف قد دبت فيما بينهما، فإلام تظن يرجع هذا الخلاف؟.. إنك لتبحث في الأمر فتجد أن أسباب الخصومة أصغر وأتفه من أن يهتم بها أحد منهما، ومع ذلك كانت هي "نقطة التحول" التي أبدلت نعيمهما جحيماً، حتى ليتهم كل منهما الآخر بأنه أساء اختيار شريكه، وأن العين كان فيه وحده، ولكن هل فكر أحدهما في عيوب نفسه؟!.

إن الرد على ذلك بسيط، وهو أن أحداً من شريكي الحياة لم يسأل نفسه عن عيوبه الخاصة، فطباع الرجل مهما تكن سامية، وأخلاق المرأة مهما يكن طيبة، والمزايا المختلفة الكثيرة مهما تتوافر في أحدهما، كل هذا لن يؤدي إلى حياة سعيدة موفقة ما لم يسع كل منهما إلى تفهم حاجات شريكه ويعمل على توفيرها له. وقد يتبادر إلى الذهن أن هذه الحاجات مادية في جوهرها، ولكنها في الواقع نفسية وذات صلة وثيقة بالجهاز العصبي، فكم من زوجة قبلت أن تبيت على الطوب، لا تشكو من ذلك ولا تتألم، لأنها تشعر بأتم السعادة في قراره نفسها.

فعلى الزوجين أذن، إذا رغبا حقا في حياة هنيئة موفقة، أن يسد كل منهما مطالب شريكه النفسية، على أن يجري ذلك من الجانبين، وأن يكون أساس العمل الحقيقة لا الخيال، فما تشاهده مثلا في دور السينما، أو ما تقرأه بين طيات الكتب والمجلات، ليس بالصحيح دائما، ولا ينطبق على الحقيقة في كل وقت.

ولكل إنسان ميوله واتجاهاته، والزواج الناجح هو الذي يكشف عنها فيلائم بينها، ومع قليل من التحمل والتضحية من الجانبين ينسجم الزوجان، ويحسان نعمة الحياة الزوجية. وتحقيق ذلك، إذا وعاه كل من الزوجين، ليس بالمطلب العسير، فما هي قواعد هذه الحاجات النفسية أو العصبية؟.

ثلاث قواعد فقط!

- كل إنسان، رجلاً كان أم امرأة، حريص على أن يشعر بأنه عضو في المجتمع، وأنه ليس كما مهملاً فيه، وهذا اتجاه غريزي فيه، وهو ما يسمى عند العلماء "بالدافع الاجتماعي" فالرجل أو المرأة إذن يجب أن يشعر بأنه عضو مقبول في هيئة المجتمع.

- على أن هذا لا ينبغي أن يكون مجرد "قبول" وحسب، بل يجب أن يحس الرجل أو المرأة بأنه فرد له أهميته وضرورته في هذا المجتمع. كما يجب على كل منهما في الوقت نفسه أن يشعر بأنه شخص له أهمية

خاصة بالنسبة إلى الآخر؛ فالزوجة ينبغي أن تشعر بأنها عند زوجها أكثر أهمية من أية امرأة أخرى في العالم، ومن مقومات هذا الشعور الكفاية الجنسية أولا، فالعواطف ثانيا، بشرط أن تكونا متبادلتين بينهما، وليس من جنب واحد.

- لا يكفي المرأة أن تحس أنها عضو في المجتمع، أو أنها زوجة لهذا أو ذاك، وإنما يجب أن تشعر بأهميتها لنفسها، وإنها شيء له قيمته في قائمة حسابها الخاص، ومخلوق له شخصيته واستقلاله الذاتي، وبذلك تشبع ما في نفسها من الأنانية أو الدافع الذاتي الذي يحسه الجميع.

ولهذه القواعد الثلاث أهميتها في صحة العقل، فإذا توافرت في إنسان فهو سليم العقل، منسجم والحياة، سعيد بها. أما إذا غاب واحد أو اثنان منها فيكون نهبا للقلق، وسرعة التأثر والاضطراب والغضب، مما يدفعه دائما وبغير إدراك إلى تلمس أسباب النزاع.

على أن مثل ذلك الشخص ليس بملوم على هذا التصرف الذي لا يعدو أن يكون مظهرا من الحاجات النفسية المكبوتة التي لم تستطع أعصابه أن تجلسها فطفت ثم طغت، قد يكون من الخير أن تطفو، فإنها لو تجمعت حتى تثقل قد تؤدي إلى الجنون.

تلك هي مقومات الزواج السعيد، فإذا لم تكن سعيدا في حياتك الزوجية فحلل الصعوبات التي تعترض واحدا أو أكثر من هذه الحاجات، فلا بد أنك مكتشف علتها، ولن تجد كبير عناء في علاجها.

حلل نفسيتكما

فأول ناحية ـ وفي هذه يقع اللوم الأكبر على الرجل ـ أن الزوج كثيرا ما يعد الزوجة قطعة من الأثاث، فهو يمضي وقته موزعا بين العمل والمقهى والنوم، فماذا بقي للزوجة؟ لا شيء! وإنه ليهملها في البيت مدة طويلة، فلا تلبث الزوجة أن تحس الوحدة، وتشعر أن شيئا كبيراً ينقصها، فتنتابها عوامل داخلية مضطربة تشعر معها بالضيق الشديد؛ فحذار مما يخلق هذا الضيق أيها الزوج، لأنها لن تلبث أن تفاجئك بنزاع مستحكم من آجل منديل فقد منك، أو قطعة ورق سقطت على الأرض، أو كلمة فهمتها على غير ما تقصد، وغير ذلك من توافه الأشياء.

وأنت في هذه الحالة مخطئ لا محالة، فإذا حدث ذلك فلا تمقت البيت ولا الأسرة فإنك أنت الملوم. إن واجبك كزوج يحتم عليك أن توفر لزوجتك حاجتها إلى المجتمع، فاصحبها دائما في زيارة أو نزهة ترى فيها ذلك المجتمع وتشترك فيه لتجدد الحياة. أما إذا أهملت ذلك فستنتج دائرة الخلاف بينكما.

إننا نهمل زوجاتنا بين جدران البيوت الأربعة، فإذا جلسنا إليهن سئمنا أحاديثهن عن سير الجيران وأسعار البطاطس! فهل هن ملومات على ذلك؟ إننا لم نهيئ لهن غير هذا الجو، فهل حاولت أيها الزوج أن تشرك زوجتك في هواياتك؟. إنك لو صحبتها مرة في نزهة لوجدتها تحدثك عنها وتبدي لك أشياء لا تلاحظها أنت، ولا شك أنك لو كررت هذا لكشف كل منكما عن هوية الآخر، ولعمل على إشباعها، ومن ثم يأتلف القلبان، إذ يتفق العقلان.

ميزانية الوقت

وثمة واجب آخر على الزوجين: أن يتعاونا على تنسيق ميزانية وقت فراغهما، فيقوما معا بالزيارات والنزهات التي تتناسب وماليتها، وإذا غاب الزوج عن زوجته فلا ينبغي أن يحرمها من الاشتراك بنصيب في المجتمع، وليكن هذا الاشتراك في نطاق تقاليده المرعبة، سواء بالزيارات العائلية أم الأعمال المنتجة. والثقة هنا أمر لا بد منه، فكلما منحتها زوجتك كلما زادها ذلك إخلاصاً لك.

إن العامل المهم في الحياة الزوجية هو التجديد والترويح، وذلك بتغيير المناظر، وقد يتاح لك هذا كزوج في محيط عملك، فلتعمل على توفيره أيضا لزوجتك حتى لا تسأم في الشجار الذي تخلق أسبابه خلقا.

كونا صريحين

وعلى الزوجين معالجة مسائلهما الجنسية والعاطفية في صراحة، لأن عدم التفاهم فيها يعكر صفو الحياة العائلية، نظرا إلى اتصال ذلك بغريزة حفظ النوع، وليحذر الرجل من شيء آخر وهو نفسه، فإن الرجال كالأطفال كثيرا ما يكتفون بحاجات أنفسهم الخاصة وينسون الآخرين، ومن ثم كثيرا ما تضطرب الزوجة وتشعر بالضيق لأن زوجها من هذا النوع، والحياة الزوجية ليست وسيلة للتناسل، وإنما هي تفاهم وانسجام، وما العملية التناسلية في الواقع غير ناحية من نواحي هذا الانسجام

ولا يجوز للزوج أن يجرد المرأة من هواياتها، وفي ذلك تختلف ميول السيدات، فهذه تتجه إلى التطريز، وتلك إلى القراءة، وثالثة إلى عمل اجتماعي، وهكذا. وأيا كان هذا الاتجاه يجب على الزوج أن يحرص على أن يكون لزوجته نشاطها الخاص، وإذا كان له اعتراض على تلك الهواية، فإنه يستطيع تحويلها إلى ما يرضى عنه، على ألا يكون ذلك بالشدة والعنف، بل في رقة ورعاية تامة لشعورها.

العائلة السعيدة وكيان الشعب

ويرى مستر "كنيث هوارد" إن الزيجات السعيدة المستقرة هي دليل نجاح الحياة العائلية، بل دليل نجاح الشعب في حفظ كيانه، على أن حقائق الحال تشير إلى عدم استقرار الحياة الزوجية، فما السبب؟. هناك عوامل

كثيرة، والواقع أن فترات الحروب ترتبط دائما بانحطاط المستوي الخلقي، وهذا الانحطاط يؤثر في المستوى الرفيع الذي يتطلبه قيام زواج ناجح، لأن الشعور بالمسئولية الأخلاقية من أهم دعائم الأخلاق. والمسئولية الكبرى فيما يختص بحوادث الطلاق تقع على الرجال والنساء أنفسهم فواجب كل فرد يقتضيه التفكير في هذا الأمر، فيبحث عن أسباب الفشل ليعمل على تجنبها، وفي هذا يمكن أن نستعين بعلم النفس لأنه يبحث عن دوافع الأفراد وتصرفاتهم.

والزواج ظاهرة اجتماعية تمس شخصين، يتفقان في الأمور العامة التي توجد بين الناس جميعا، ولكنهما يختلفان في دوافعهما، وثمة أربعة أمور ينبغي أن تتوافر فيمن يريد حياة سعيدة موفقة، وأول هذه الأمور أهمية هو ما ينبغي أن يقوم بين الزوجين من رباط الجاذبية الجنسية الجثمانية، على أنه يجب أن يقوم إلى جانب ذلك شعور قوي بالصداقة الدائمة والإخلاص والتعاون، حتى يكون الزواج قائما على أسس قوية لا تتزعزع. ولتحقيق ذلك تبدو العوامل الثلاث الأخرى حيوية كذلك، وتلك هي التسامح، والاستعداد للعطاء، والمثابرة.

والشباب لا يقبلون التسامح كما يقبله الشيوخ، على أنه إذا كان الرباط الجنسي قويا فإن ذلك يدفع إلى التسامح. والحياة الجنسية السعيدة كثيراً ما تساعد على تجنب الخلافات التي قد تنشأ عن تباين الطبائع والأمزجة والتصرفات وطرق الكلام، ذلك التباين الذي يدعو إلى كثير من المشكلات وإثارة الأعصاب في الرجل والمرأة معا مما يحملهما على السعي

إلى التخلص كل من الآخر. والاستعداد للعطاء يعنى تجنب الأثرة والأنانية، والبغضاء لا يمكن أن تحل مشكلات العالم، ولكن نقيضها قد ينجح في ذلك، وإنكار الذات هو أساس كل حب صادق.

والواقع أن الشباب والفتيات يقبلون على الزواج لكي يمضوا "وقتاً طيباً" دون أن يفكروا في منح السعادة لغيرهم، وإذا اجتمع اثنان وكل منهما يتطلب أكثر مما يمنح سرعان ما يتهم الآخر بالأنانية وعدم تقدير زميله، فالزوجة تشكو من أن زوجها قلما يصاحبها إلى نزهة، وهو يشكو بدوره من أنها لا تحسن إعداد الطعام، وهكذا يعيشان في جو من عدم التوافق، وقد يستمران في العيش معاً، ولكن في حياة بلا حب.

أما العامل الأخير، وهو المثابرة، فلا يمكن أن يستقر الزواج إلا إذا تحقق الطوفان من أن نجاحه يحتاج إلى كثير من الجهد، فهو يحتاج إلى الفكرة والاستعداد للتضحيات، والمثابرة على السعي مهما تفشل المحاولات الأولى، وعندما يبدأ الناس في اعتبار السعادة الزوجية هدفا يستحق البذل والمثابرة، فإنهم سينجحون في بلوغ ذلك الهدف المنشود.

لماذا يتزوج الرجل؟

"الزواج يعني أشياء مختلفة للرجل والمرأة، وفي هذا المقال يشرح أحد الأزواج الأسباب التي تجعله لا يبكي على أيام ما قبل الزواج!"

الرجل عندما يتزوج يتخلى عن أشياء أكثر مما تتخلى عنها المرأة، وأنا أعتقد أن هذا القول صحيح؛ فعندما تتزوج المرأة يصبح منزلها وأطفالها وزوجها أهم أشياء في حياتها، أما بالنسبة للرجل فإن مستقبله وعمله وتنمية مواهبه يكون لها المقام الأول.

وعندما تتزوج المرأة فأنها تلقي بنفسها في خضم الحياة الحقيقية. لقد تولت أخيراً المهمة التي كانت تهدف إليها منذ أن فهمت لأول مرة الفرق بين الصبيان والبنات. بينما تمر تلك اللحظة ذاتها بالرجل، لا عندما يتزوج، بل عندما يقوم بالتدريس لذلك الفصل الأول، أو يصدر ذلك الحكم التنفيذي الأول، أو يضع تصميم غلاف الكتاب الأول في حياته.

وهكذا، فإن ما يثير الرجال، وما يجعلنا ساخطين أحياناً ويسبب أسفنا على أيام العزوبة الغابرة، هي تلك الطرق التي يصيب بها الزواج عالم اهتماماتنا الأولى؛ فلقد أصبحت ملتزماً بزواجي وهذا شيء يثير الضيق في بعض الأحيان، ذلك لأني قد ألتزم مثلاً بأن أعيد تنظيم جدول عمل

أسبوع بأكمله من أجل اصطحاب زوجتي إلى العشاء والمسرح، لا لسبب أكثر من علمي أنها في حاجة إلى ذلك.

ومن المؤكد أن النساء يقدمن تضحيات هي أيضاً عندما يتزوجن، فقد شاهدت الغبار يغطي مفاتيح بيانو زوجتي، ورأيت يديها وقد اخشوشنتا وتشققت أظافرهما، بسبب العمل المحبب في زراعة النباتات على جانبي الممشي، ومع ذلك فإن هذه التضحيات كلها كانت من أجل زواجها وبيتها وعائلتها. ويعتقد الرجل العادي بأنه بينما قد تكون زوجته "ملكاً" له، فإن الزوج ملك لزوجته.

ومع ذلك فالحقيقة العجيبة، هي أن معظم الرجال قد تزوجوا وظلوا متزوجين خلال تاريخ الحضارة بأسره، ومن الواضح أن الرجل يجب أن يحصل على شيء ما من الزواج، شيء يكفي لجعله يساوي المضايقات التي تسببها قيوده.

والشيء الأول الذي يحصل عليه الرجل هو الجنس، فالرجل يتزوج على أمل أن يحقق على الأقل حياة جنسية مرضية، وتستطيع أن تستبعد ٩٠% مما تسمعه عن رغبة الرجل الفاجرة في مطاردة النساء، فالبحث المستمر عن شريك للناحية الجنسية شيء مثير للضجر والأعصاب، والحصول على الفتيات اللعوبات الفاتنات، أمر أكثر سهولة في المجلات عنه في الحياة الواقعية. وقد يقضي الأعزب ساعات لا نهاية لها لطلب أرقام التليفونات من مفكراته الصغيرة، ويرتب حفلات عشاء صغيرة مغرية

لا تأتي بنتيجة، أو على أحسن تقدير، لا تحقق سوى قصص غرامية تافهة، تنتهي في الغالب بالدموع والمرارة. ويضحي الرجل الأعزب بالكثير من أجل التنويع، ونجد في الغالب أن معظم الرجال الذين مرت بهم تجارب جنسية مجزية هم المتزوجون، ذلك أن الأمر يتطلب زمنا طويلاً لبناء حياة جنسية مرضية تستند على الفهم المتبادل والاعتبار والحب والاحترام، كما يتطلب الأمر زمنا طويلاً تتعلم فيه كيف تجعل الفعل الجنسي محملا بالمعنى، وأن تصقله بالخبرة. وهذا النضج لا يستطيع أي أعزب أن يكتسبه بذلك النوع من المغامرة الجنسية القصيرة التي يتوق إليها.

ومع ذلك فإن الجنس ليس هو أهم العوامل التي تبقي الرجل متزوجاً، فلقد نجح الأطفال في أن يجتازوا بزيجات كثيرة مناطق وعرة أكثر من أي عدد من مستشاري الزواج ولو ملأوا كل مكان..

إن معظم الرجال يجدون البهجة في أطفالهم، وفي حين أن حب النساء لأطفالهن قد يكون حباً غامراً، يصفح عن كل شيء ويقبل منهم أي شيء، إلا أن الرجال – على الأرجح – أكثر قليلاً في الناحية الموضوعية وأكثر قدرة قليلاً على أن يقفوا بعيداً وينظروا إلى أطفالهم كأناس منفصلين عنهم، أناس لهم جوانب قوة وضعف، وفضائل ورذائل. ومعرفة الرجل لشخصية طفله النامية ومراقبة نموها وتفتحها، تجربة عظيمة بالنسبة له.

والرجل الذي ليس له أطفال لا يعد رجلاً كاملاً، فالأطفال يوطدون مكاني في سلسلة الأجيال الطويلة، التي حملت دمي من كهوف الماضي

الرطبة، والتي ستحمله قدماً إلى ما لا نهاية مع تقدم الزمن. إن الأطفال هم استمرار لذاتي، وعن طريق الأطفال ألقي ببذوري في المستقبل. إن التناسل هو عمل الحياة، بل إنه الحياة نفسها، وبالتناسل أؤكد مكاني في نظام الحياة التي تعمر الأرض.

والرجل بلا أطفال يفقد مكانه في التاريخ، ويستطيع الرجل بطبيعة الحال أن ينجب أطفالاً دون أن يتزوج، ولكنه لا يستطيع أن يمتلكهم دون زواج، ولكي يكون للرجل أطفال، عليه أن يربيهم، فالأطفال لا تشكلهم الآلات، بل هم من صنع الأيدي والرعاية المحبة.

إنني وزوجتي على وفاق دائم مع أطفالنا، ولكنهم يبعدون عن الأنظار والأسماع في الساعة التي تسبق العشاء، فتلك الساعة ملكنا وحدنا. فليس في حديثنا ما قبل العشاء شيء دنيوي، فتخبرني زوجتي من الذي ضرب الآخر أولاً، وماذا اكتشفت عن مدرسة الألعاب الرياضية الجديدة، ولماذا تأخر بائع اللبن. ونقرر في هذه الجلسة ما إذا كنا سوف نقبل دعوة عائلة "بوتابل" لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، أو ما إذا كنا سنسمح للولد الأصغر بالاشتراك في أحد المعسكرات، أو كم علينا أن ندفع للأعمال الخيرية، وليس بين هذا كما قلت شيء "دنيوي" جداً، وهذا هو الأسلوب الذي أفضله.

وتوصي كتب الزواج أحياناً بأنه يجب على الزوجة أن تدرس المسائل العالمية حتى تستطيع أن تناقش الموقف في زنزبار مثلاً مع زوجها على كأس من الخمر، ولكن الكتب مخطئة في هذا الموضوع.

ويقضي معظم الرجال وقتاً طويلاً أثناء النهار يعملون في جو تحوطه بعض الادعاءات الصغيرة، فقد يكون من الضروري أحياناً أن نتظاهر بثقة لا نحس بها، أو أن نمط في بعض المعلومات القليلة لكي نوحي بأنا خبراء، أو أن نظهر الصداقة لأناس نكرههم من أعماقنا

إن العالم يعتمد على "التشحيم" الذي نقوم به في بعض الأحيان فوق بعض المناطق الوعرة بشيء قليل من التمثيل، ولكن هناك شخصاً واحداً أستطيع أن أثق فيه، فأتحدث معه عن الخطأ الذي كدت أرتكبه في الاجتماع صباح ذلك اليوم، أو عن الطريقة التي شققت بها طريقي بمحض الصدفة أثناء عرضي للموضوع ظهراً. إنني أستطيع هنا _ في المنزل _ أن أجادل، وأصخب، وأن أضحك على نفسي لو أردت. وليست نقاط ضعفي وحدها هي التي أستطيع أن أظهرها أمام زوجتي، بل وحالات نجاحي أيضاً. فمن المفروض على الرجل _ في دنيا العمل _ أن يضع قناعاً من التظاهر بالتواضع عندما تنفد كل مبيعاته، أو عندما يحصل تصميمه على جائزة، وقد أشعر برغبة في أن أنطلق في الممرات السفلى والعليا وأصبح مبتهجاً، ولكنني _ بدلاً من ذلك _ مضطر إلى أن أبدو عديم الاكتراث وأقول: "أن أي شخص آخر كان يمكنه أن يفعل ذلك. لقد تصادف فقط أنني كنت في المكان المناسب في الوقت المناسب". ولكن

الأمر يختلف مع زوجتي، حيث أستطيع أن أصرخ مبتهجاً أمامها، وأن أرقص حول المائدة في غرفة الطعام إذا أردت، وذلك لأني أعرف أن الجمهور كله في جانبي.

إن هذا الرقص وهذه المحادثة غير الدنيوية، هما ما تعنيه كلمة "صحبة" حقيقية"، أن تستغني عن النص المسرحي المكتوب، وتمثل على سجيتك مع شخص يهتم بك. والشيء الغريب في هذا الموضوع هو أن هذا النوع من العلاقة، لا يمكن حدوثه حقاً في ثقافتنا على أي حال _ إلا بين رجل وامرأة.. أنني لا أريد أن أفخر بما حققته حتى لصديق الطفولة، كما أنني بالتأكيد لا أحب أن أعترف له بنقاط ضعفي. وسواء كان الرجل أصلع أم غير ذلك، فإن عليه في بعض الأحيان أن يترك شعره يتساقط، ومن أجل ذلك يحتاج إلى زوجة. ولكن وراء كل هذه الأشياء يوجد سبب أخير يدفع الرجل لأن يتزوج، وهو شيء يتصل بكلمات مثل "الدوام" و"البناء" و"المستقبل"؛ فمعظم الرجال يجدون أن البحث عن المال والنجاح عمل خاو، بينما يضفي الزواج والعائلة على ذلك العمل بعض الهدف ويجعلان له بعض الهدف والمعنى.. فأي غرض؟ وأي معنى؟

قد يرجع ذلك إلى أني أريد أن تفخر بي زوجتي وأولادي، وقد يكون لذلك علاقة بمنح أبنائي قاعدة صلبة يستطيعون أن ينطلقوا منها ليكافحوا من أجل أنفسهم عندما يحين الوقت، فالحقيقة هي أن كثيراً من الأشياء التي أحققها تعني بالنسبة لي الكثير جداً، لأنني زوج، وأب. (جيمس كوليير، خبير في علم النفس)

لا تنزعجي إذا كان زوجك مختلفاً عنكِ

لا يوجد قانون ينص على أن الزوج والزوجة يجب أن يتفقا في الأذواق والآراء، فبعض الزيجات الناجحة إلى أبعد حد، يقوم على اختلافات كبرى، وكثيراً ما يوجه كتاب المجلات والصحف إلى قرائهم وقارئاتهم مثل هذه الأسئلة: هل زواجك سعيد؟.. هل كان يجب أن تتزوجي زوجك هذا؟.. وغير ذلك من الأسئلة الشخصية التي تتدفق غالباً بعد هذا عن عادات النوم والأكل، والعمل، واللهو.

على أن الرجال قلما يتوقفون بقصد التفكير، وبسبب طغيان أعمالهم ينظرون إلى مسألة الحب والزواج نظرتهم إلى الأمر الواقع، وهذا مما يؤدي إلى إخماد مشاعر المرأة، ولكنه شيء ينبغي على كل واحدة منها أن تواجهه لأن هذه الظاهرة في شخصية الرجل كثيراً ما تنطوي على النضج والقوة

والرجل العادي لا يحتاج ذلك الشعور الجارف بالقرب، الذي تظن المرأة العادية أنها في حاجة إليه، وهو لا يشتاق إلى أن يصبح الشخص الذي يحبيه صورة مرآة تعكس كل حالاته وذوقه وانفعالاته، والكثيرات منا _ نحن النساء _ يجدن هذا مؤلماً فإننا نشعر بأنهم لا يفهموننا لمجرد أنهم لا يريدون ما نريد. ولكن ألا يمكن أن يحب الزوج زوجته ويفهمها في حين

ينتظر منها أن تقف على قدميها وتدرك ما يروق لها في الحياة بغير أن تحتاج إلى ما يساندها من إعجابه هو أيضاً بنفس الشيء؟

كتبت إحدى السيدات قائمة تحدد الأشياء التي لا تتفق فيها مع زوجها؛ فهو بطبيعته هادئ وهي ميالة إلى إحداث الصخب، وهو كتوم، في حين أنها تحب إظهار عواطفها، كما تحب أن يظهر هو أيضاً لها عواطفه وهو يفضل النوم مبكراً وهي تحب السهر، وهو يعشق الموسيقى الكلاسيكية بينما تعشق هى موسيقى الرقص الصاخبة. وهو حريص دقيق، بينما هي قليلة الحذر كثيرة شرود الذهن، وهو يكره الحديث عن المشكلات، بينما هي تريد أن تناقش كل شيء غير أنه كان في المواد التي شملتها هذه القائمة مادة واحدة تلغي ما عداها فهي تحبه، وهو يحبها.

ولكن لماذا؟ لقد بدأ يزعجها ما بدا لها من أنهما يعيشان معاً بخير حال على رغم كل ما بينهما من فوارق، وهكذا حاولت أن تكتب قائمة أخرى تحدد كل الأشياء التي يتفقان فيها، فجاء ما في هذه القائمة الثانية عجباً عجاباً! فقد ظهر لها بوضوح أنهما يذيعان على موجة واحدة، كما يقول المشتغلون بالراديو، فهما يفكران بسرعة، ويتكلمان بسرعة، ويمشيان بسرعة أيضاً، وهما في معظم الأحيان يضحكان لنفس الأسباب، وهما إذا كانا يستعدان لحفلة، أو يقومان معاً بغسل الصحون، فإنهما يعملان كشخص واحد، ولا يعترض أحدهما سبيل الأخر مطلقاً، وفي عبارة موجزة، كانا فريقاً جيداً.

على أنه لا شك في أن الأمور تتعقد أمام الزوج والزوجة إذا كانا يذيعان على موجتين مختلفتين، على نحو ما يحدث إذا كان هو دائماً يحافظ على مواعيده، بينما تتأخر هي دائماً عن مواعيدها، ولكن هذه الحقيقة بذاتها قد تكون من بين أوجه الخلاف التي جذبت كلاً منهما نحو صاحبه منة البداية.

وهذا كله لا يعني أنه لا موجب لمحاولة كل منكما بيع ما يروقه للآخر فنصف ما في الزواج من المتعة هو فتح أبواب جديدة معاً، أو فتح كل منكما لها من أجل الآخر، وفي الوقت المناسب قد تستطيع أية زوجة أن تجعل زوجها يحب نصف الأشياء التي تحبها هي، على الأقل، ولكنها يجب أن تلزم في ذلك جانب الهدوء والاسترخاء.

إن تلك الأمكنة الخالية التي لا تتفقان فيها، ذات فائدة، ففيها فراغ يستطيع فيه كلاكما أن يدور حول نفسه، ويشعر بأنه حر. وما يبدو كأنه عدم توافق قد يكون في حقيقته حاجة طبيعية إلى الخلوة، فلا يمكن لأي اثنين من الناس أن يشتركا في كل شيء، دون أن تدركهما الملالة، ثم يشعر كل منهما بعد وقت ما بأنه كالحيوان الذي وقع في شراء فإذا أدار الرجل مفتاح جهاز التلفزيون، بينما زوجته تريد أن تتحدث، فربما يكون قد فعل ذلك بدافع من حاجته الملحة إلى الاختلاء بنفسه لحظة، والنساء بمجرد أن يلتحق أطفالهن بالمدارس يتاح لهن عادة من فرص الخلوة أكثر مما يتاح للرجال. ونحن ــ النساء ــ كثيراً ما لا ندرك كيف نهيئ، الهدوء الشامل في البيت الخالي، وبعد هذا نصير على استعداد اللقاء من يؤنس وحدتنا لمجرد

ذلك السبب وحده. ولكن الدنيا كانت تسدد لكماتها طول اليوم إلى معظم الرجال، ولهذا فإنهم قد يحتاجون إلى التماس العزلة في مساء عدد من أيام الأسبوع حتى لا ينهاروا فعلاً.

ومن الواضح أن الرجل إذا أراد الاختلاء بنفسه كل ليلة، فمن المعقول أن تسألي نفسك عن السبب، فربما كانت الحياة في البيت لا تثير فيه أي اهتمام، بينما يكون في وسعك أن تتداركي أمرها. على أن كل شخص يجب أن ينال قسطاً معيناً من الوحدة.

وقد يبدو الزواج أيسر في سنواته الأولى، إذا ظل الزوجان يواجه أحدهما الآخر وكأنه مرآته طول الوقت، من الفراش إلى مائدة الإفطار إلى قراءة الكتب. ولكن مكمن الخطر هو في حالة ما إذا طرأ على أحدهما تغير بعد سنوات قضياها في "توافق" فقد يكون معنى هذا فتح باب لم يتهيأ الآخر لأن ينفذ منه. أما إذا بدأ اثنان بخلافات كبيرة، ثم استطاعا حلها في خلال معمر من الحياة معاً، فإنه تتوافر لهما قوة، في داخل كل منهما وفيما بينهما لا يستطيع أن يسلبهما إياها شيء على الإطلاق.

إن زيجة طيبة تقوم على اتحاد بعيد الاحتمال، قد تكون أقوى وأهدأ مما يوجد من أنواع الزواج. _(بقلم: "هاناليس عن "ساترداي ايفننج نيوز")_

لا بد من الإخلاص في الحياة الزوجيّة

يتعرض كثير من الناس في سعيهم للحصول على أقصى متاع ممكن في الحياة للاتهام بأنهم خطاة أشرار، فهم أولاً لا يقبلون الزواج إلا لكي يتمتعوا بالأطفال، وهم ثانياً ينقذون الشباب من الحبس الأحمق والكبت غير البصير بإطلاق الحبل لهم على الغارب، وهم ثالثاً ورغم اعترافهم بفضائل الزواج، يرون أن يخلصوا طرفي الزواج من قيود الإخلاص الجنسي المطلق

وعلى كثرة ما يقوله أنصار هذه الحرية المحدثون من حجج، فإننا لا يمكن أن نتركها دون اعتراض، ولا سيما أن معظمهم يوافق على أن العلاقة الجنسية ليست مجرد اتحاد بين الأبدان بل هي اتحاد شخصيات بأكملها. وإذا نحن تأملنا المعاني التي تتضمنها هذه الفكرة لوجدنا أن هذا الاتحاد الذي تظهر فيه أعمق علاقات الود والألفة بين الشخصيات بأكملها لا يمكن لكائن مفكر أن ينكر جوهرها الفريد إلى هذا الحد المزري. ولم تفسد بدعة التحرر العصرية أحاسيس المرأة الجوهرية ومثلها العليا، فإن لها مشاعر حساسة دقيقة تعتبر تقديمها لأي شخص آخر غير هذا الذي كرست له حبها على الدوام نوعاً من تدنيس المقدسات وانتهاك الحرمات.

والاتصال البدني ليس إلا حدثاً واحداً في عملية طويلة من التودد والملاطفة تسبق تلك العملية وتتبعها. ويصر المتمردون اليوم على ضرورة الملاطفة قبل هذا الاتصال، ولكنهم يصمتون عن تلك الحاجة إلى الملاطفة المستمرة التي تشعر بها المرأة عقب ذلك الاتصال، ومع أن كل جزء من أنسجة كرامتها يحتج احتجاجاً صارخاً ضد ما يوحي به هذا الصمت من حط لشأنها حين ينقطع هذا التودد وهذه الملاطفة. فالزوجان يحتاجان إلى الترفق وإلى الرغبة في مشاركة الأعباء والتفاهم المتزايد بين الواحد والآخر، وهذه هي المهام التي تحتاج إلى أكثر من مجرد مران سخيف فهل يقبل الناس عبء تعلم هذه المهام حين يعرفون أن في إمكانهم تغيير رفاقهم في بساطة؟

إن زيادة الاهتمام بحرية التغيير والتبديل من شأنه أن يقلل من الدافع إلى البحث عن الصفات اللازمة في شريك المستقبل الذي يمكن أن يبقى على الأيام، وفوق ذلك فإن تشجيع العلاقات غير الدائمة من شأنه أن يجعل الناس لا يشعرون بحاجتهم لتنمية صفات راسخة دائمة في أنفسهم، ولن يستطيع الناس بالفجور وحياة التشويش أن يستعدوا لعلاقة تحتاج إلى ذروة الالتفاف وضبط النفس والولاء الإيثاري واحترام الشئون الخاصة.

ومن المقترح كذلك أن الذين يتزوجون يجب أن يتغلبوا على غيرتهم فيتسامحوا مع تلك الميول الوقتية التي قد يتعرض لها شركاء حياتهم مادام الحب الأصيل باقياً على حاله؛ فالغيرة التي تكشر في استياء لهذه المفاتن الوقتية يجب التخلي عنها باعتبارها عاطفة تملكية، أكثر منها عاطفة

انبساطية كشأن الحب. وما هو شأن الغيرة على سمعة الشريك الكريمة، وبالأولى على حياته الطيبة؟

قد تشارك الزوجة زوجها سنوات من المتاعب والمسرات وتنجب له البنين فتهبهم حدبها وعنايتها حتى تسلبها السنون المفعمة بمسئولية رعايتهم والحدب عليهم في الصحة والمرض، جمالها الذي لا تزال تتمتع به أية امرأة أحدث سناً وأقل منها شعوراً بالمسئولية، فإذا ما شعرت بالغيرة لافتتان زوجها بالأخرى، هل يكون شعورها مجرد شعور تملكي فقط؟ ألا يمكن أن يكون بدلا من ذلك مذكراً له بإمكانية إبقائه على شركتهما المخلصة؟

إن برتراند راسل اللسان الناطق بهذا التحرير الجديد يؤكد معلناً: "إن إيصاد فكر الإنسان المتزوج والحيلولة بينه وبين كل ما يقترب به من الحب عن أي طريق آخر إن هو إلا قتل لقواه الحافظة والعطوفة وتقليل من قوة فرص العلاقات الإنسانية العظيمة القيمة، وهي تميل – شأن كل قوانين الخلاق المحرمة – إلى تدعيم النظرة البوليسية في الإنسان نحو كل الحياة البشرية" وإنه لحب عجيب هذا الحب في خوفه من ائتمان نفسه وتركه دائماً عرضة للملاطفات الخارجية، ومثل ذلك من يقول: إنني أحبك وأنا لك، وإنما مع بعض تحفظات. وإنني أعد أن أكون مخلصاً، وإنما فقط حتى أقع فريسة الغواية.

وإن من الطبيعي المؤكد أنه إذا ظل رجل مخلصاً لزوجته فإنه يقطع نفسه عن كل علائق بشرية أخرى، ولكن هذا القول يحمل على نحو ما

نفس المعنى الذي في القول: إنني ما لم أسرق هذه السيارة فلن أحصل بالتأكيد على تلك العلاقات الطيبة العظيمة القيمة التي يمكن أن أنعم بها إذا صرت مالكاً للسيارة.

كذلك كان من موضوعات النزاع أنه لما كان النساء يفقن الرجال عدداً في مجتمعات كثيرة فإن تركهن لمشاركة الأحسن حظاً سوف يقضي على الوحدة والحسد والغيرة أو يقلل منها، وسوف يزيد اطراد السعادة. قد يكون ذلك حقاً بالنسبة لنماذج خاصة من النساء، ولكن من الناحية الأخرى سوف تحمل النساء المهذبات ذوات الحساسية المرهفة هذه العلاقات الودية على محمل الجد، وحين تذبل جاذبيتهن البدنية ويميل رجالهن نحو الفتيات الأصغر سناً، هل ستقل الوحدة والغيرة والحسد إلى حد كبير من الدنيا؟

من الواضح أن راسل كانت له شكوكه في هذه المشكلة المتعلقة بالغيرة ولما كان يرى إنها عقبة تعترض الزواج الدائم الذي يعلن إيمانه به فقد أوصى بوجوب طرد هذه الغيرة من حياة الناس بتغيير الرأي العام من هذه الناحية، وهي خطة غريبة نوعاً في تطبيقها. فعلى الرغم من أنه كان يصر على أن كبت الدوافع الطبيعية أمر ضار، فقد رأى إسقاط الغيرة وإزالتها على الرغم من إنها إحدى تلك الدوافع الطبيعية، ولكن لما كانت تتدخل في مشروعه التحرري المفضل فقد طالب بتعليم الناس ثقافة لا تتناول الغيرة من قريب ولا من بعيد.

ولا يسمع المرء عندما يسمع هذه الحجة إلا إن يسأل: "لماذا تقصر إيمانك في التعليم الأخلاقي على هذه الناحية الواحدة بالذات؟ وإذا كان التعليم هو السبيل، فلماذا لا تعلم إلا ذلك النوع من الحياة الذي يجعل الغيرة غير ضرورية؟". ربما كان كل ذلك أحد مظاهر المشكلة العامة للصفح والغفران، وليس هناك مجال للسلوك يندفع فيه الناس أكثر عنفاً من مجال الجنس؛ فالرجل وزوجته مثلهما مثل الوالدين غالباً ما تجدهما مضطرين إلى تذكر أن مدينة معظمنا لا تزال ناقصة قاصرة، ولكن الغفران مع تثبيت الاهتمام بتوبة المذنب شيء، والتفسير الجديد للآية الثامنة من الفصل الحادي عشر من إنجيل يوحنا القائل: "ولا أنا أيضاً أدينك اذهبي وكرري الخطية" شيء آخر يختلف كل الاختلاف.

كذلك لا يمكن أن تعد المسائل القائمة بين الرجال والنساء من شئونهم الخاصة على الإطلاق، فهناك حق الأولاد فيها، ولذلك فإن التصرف المتحرر لمن لا ولد له من شأنه أن يضعف قوام حياة الكثير من الوالدين، الذين يحتاج أولادهم إلى أقصى الولاء بعضه نحو البعض الآخر.

وفي الزواج السليم يعمل الزوج على تشجيع أفضل ما في زوجته، كما تطلب الزوجة أفضل ما في زوجها كوسيلة لتكوين أفضل السجايا في أولادهم وإنما بصورة جديدة. وهذه مهمة تمتد مدى الحياة وليس من المحتمل أن يفلح في التعريض بها دعاة الفلسفة القائلة بعدم الإخلاص. ويخبرنا معلم شهير بأن البيوت المحطمة تشترك في ثلاثة أو أربعة أمثال مشكلات الطلبة أكثر من البيوت العادية، والسبب واضح وضوحاً كافياً

لأولئك الذين يفهمون الأمر الذي يوضح الفرق ويبرز الصفات القائمة بين البيت وحظيرة الماشية. إن أفضل معونة من الوالدين لأطفالهما هي موهبة روحية، فالرجل يشجع زوجته على أن تهب أطفالهما أسمى وأفضل ما فيها كما تقوم هي أيضاً بهذا التأثير على والدهم. وإن علاقة كهذه تستغرق قوى الزوجين لتحتاج إلى معرفة متزايدة كل منهما للآخر، وإلى سنين طويلة من الزمالة يتحتم في أثنائها ضبط تلك الميول الهائمة. ويكون هذا الضبط بمثابة حد أدنى فقط لواجبات الزوجين؛ فالزوجان من البداية يريدان توحيد حياتهما على أساس ثقة أحدهما في الآخر. ويقاس نجاح الزيجات بمقدار ما يستمر الناس في محاولاتهم على أن يكونوا أهلا لهذه الثقة.

إذن ماذا يمكن عمله الآن؟ إن بيت المستقبل سوف يتغير إلى ما هو أفضل في نواح عديدة وسوف يصبح تعليم ضبط الحمل شيئاً قانونياً كما ستزال كثير من الضوائق الاقتصادية التي لا ضرورة لها، وستحول دراسة الجنس بتفهم أكبر في ضوء علم النفس دون كثير من الانهيارات العائلية والفشل في الزواج، بيد أن الحاجة الأساسية الماسة تنحصر في ذلك التدريب الذي يجب أن يلاقيه الزوجان في أولى سنوات تربية الأطفال. وقد يحدث الزواج الناجح مصادفة ولكن المدرسة والبيت يمكن أن يساعدا بالتدريب على توكيد هذا النجاح.

خذ مثلاً حاجة الشبان لمناقشة آراء الزواج التي يتسقطونها من قراءاتهم أو مشاهداتهم على المسرح أو السينما. هنا لا يجب على الوالدين أو المدرسين أن يترددوا في الكلام عنها فالتأثير الذي تعطيه القصص التي

لا عداد لها يوحي بأن الشيء الأساسي في الزواج هو المتعة الجسدية، ويستغرق تصوير هذه العلاقة الزوجية من ممثلي هوليوود ومخرجيها مهارة ليست دائماً رهن إشارتهم، بينما يقل الاهتمام بالاعتبارات الأخرى التي لا تقل أهمية عن هذه الناحية إن لم تزد.

إن هناك فرصة كافية للتعليم في كل هذه الأمور؛ فإذا ما أراد الناس أن يزداد تقدمهم فإن عليهم أن يدركوا أن مقترحات دعاة التحرر العاطفي والجنسي ليست هي الميادين الوحيدة المفتوحة للبحث، فحتى دعاة التحرر الجنسي يعترفون بأن الزواج الدائم مدى الحياة هو أفضل. فلماذا لا تقوم التجارب إذن في هذا الظرف بالذات؟ إن الاتحاد بين الرجال والنساء كعلاقة روحية حقيقية تقدم فرصة للاختبار لا نهاية لها ولا حد. والزيجات الفاشلة محزنة ولكن إقامة سلوك أولئك الذين فشلوا كمقياس للفشل ليس حلاً للمشكلة، فالرجال والنساء يفشلون بطرق أخرى كذلك: إنهم يكذبون ويخدعون ويغشون "أعني الكثير منهم" وليس هناك قانون يستطيع أن يجبرهم على الأمانة. فهل معنى هذا أن نيأس في محاولة تربية أطفالنا على حب الأمانة؟ وهناك اتجاه يستحق الاهتمام هو أن يأخذ في الاعتبار نموذجاً لا يضع نصب عينيه ضعاف الناس بل يؤمن بالأحرى بذلك النموذج الذي يضع الثقة في قدرتهم ومواهبهم المحتملة التحقيق موضع الاعتبار.

كيف تسعد في حياتك الزوجية؟

لعل مسألة البحث عن زوجة أهم ما يعترض كل شاب في حياته، وطالما عني الكتاب والباحثون والعلماء بوضع قواعد خاصة لكي يسير عليها كل شاب في مستهل حياته الزوجية، ولكنها لم تؤد إلى الغرض المنشود، وهو توطيد دعائم السعادة في الأسرة. وقد بلغت قضايا الطلاق حدا أزعج ولاة الأمور والمعنيين بالشؤون الاجتماعية في أكثر البلاد، واهتمت الحكومات بهذا الموضوع، وسنت القوانين التي قضى بعضها ببحث الحالة الاجتماعية لكل من الزوجين قبل التصريح بالعقد، ووجوب الكشف الطبي عليهما مما يحول دون وقوع بعض الكوارث إلا أنه وحده لا يكفل قيام السعادة الزوجية.

وقد درس بعض علماء النفس والاجتماع في أمريكا ألوف قضايا الطلاق، لكي يعثروا على دوافعه الرئيسية، ولكن الآراء تضاربت واختلفت، تبعاً لاختلاف النظريات عن علم الحياة والأجناس البشرية. كما أن كثيراً من الشبان كانوا _ ولا يزالون_ ينقادون لعواطفهم ويضربون عرض الحائط بكل قاعدة سيكولوجية أو منطقية، حتى إذا ذهبت النشوة، وحل الخلاف محل الوفاق الوقتي، أحسوا باليأس والخيبة والندم ولكن بعد فوات الأوان.

على أن آراء العلماء المهتمين بالمشكلة قد أجمعت على أنه يجب على كل شاب وشابة اتفقا مبدئياً على الزواج أن لا يعقدا قرانهما إلاّ بعد أن يدرسا معا دراسة وافية المسائل التالية:

١- هل يحترم كل منا رفيقه؟

٢- هل تستطيع أن تتلافى أسباب الخلاف التي قد تعكر صفونا؟

٣- هل لدينا ما يكفي من المال لمجابهة كل طلباتنا.

٤- هل تتفق وجهة نظرنا على إنجاب الأطفال أو تحديد النسل أو منعه منعا باتا؟.

٥- هل نستطيع أن نتفاهم مع الأقارب، وأن نعيش معهم في سلام إذا اقتضى الأمر أن نقيم معهم؟

٦- هل يستمتع كل منا بصحة جيدة، ولا يشكو مرضا وراثياً؟

٧- هل ثقافتنا من نوع واحد؟

٨- هل يناسب كل منا الآخر جسمانياً؟

وقد عنيت إحدى المجلات الخاصة بالشؤون الاجتماعية والنفسية بإجراء استفتاء بين القراء عما إذا كانت القواعد التي سبقت الإشارة إليها

تكفل السعادة الزوجية حقا، إذا تم الزواج طبقا لها؛ فدلت نسبة كبيرة من الإجابات التي تلقتها المجلة على أن عدداً كبيراً من الشبان لم يتم زواجه لاختلاف الرأي على بعض القواعد، كما صرح فريق من القراء بأنهم تزوجوا مهتدين بهذه الأسس فكفلت لهم السعادة.

عيادة نفسية للزواج

وقد أنشأ فريق من الأطباء وكبار علماء النفس والاجتماع عيادة سيكولوجية في نيويورك لدراسة حالة الراغبين في الزواج من الوجهة الصحية والنفسية والاجتماعية وإسداء النصح لهم بما يجب عمله من حيث إتمام الزواج أو العدول عنه للأسباب التي يقررها الأخصائيون. وقد لاقت هذه العيادة إقبالاً كبيراً، فأنشأ مديروها فروعا لها في كثير من المدن الكبرى وأخذوا يصدرون في كل عام إحصاء عن أعمالها

ويؤخذ من بعض هذه الإحصاءات أن كل شخص نصح له بأن لا يتزوج ثم أهمل النصيحة انتهى أمره بالطلاق بعد عام أو أقل، كما أن أكثر من تزوجوا بعد موافقة العيادة عاشوا سعداء.

وتتلخص طريقة الفحص في هذه العيادة في أن الشاب والشابة المتفقين على الزواج يكشف عليهما أولاً كشفاً طبياً دقيقاً فإذا نجحا فيه، أعطيت لهما استمارة فيها أسئلة منوعة عليهما أن يجيبا عليها معا ويوقعا بإمضائهما عليها، وعلى أثر ذلك يختبران اختبارا شخصاً وتعلن النتيجة

وإما أن ينصح لهما بالزواج أو بالعدول عنه، والأسئلة المدونة في الاستمارة هي:

١- كيف تعارفتما، وهل بينكما قرابة، أو صلة نسب، وهل تتحابان؟

٢- هل بينكما مصلحة مادية مشتركة لا تتم إلا بعد الزواج؟

٣- هل أنتما من بيئة واحدة ومن أسرة متشابهة؟

٤- هل بينكما فارق كبير في السن؟

٥- هل حالتكما المالية تسمح لكما بإجابة مطالب الحياة الضرورية؟

٦- هل بلغتما درجة النضج العاطفي؟

٧- هل تتشابه أخلاقكما وثقافتكما؟

٨- هل يستطيع كل منكما أن يسعد الآخر؟

٩- هل يقبل كل منكما أن يضحي في سبيل سعادة الآخر؟

١٠- هل يغار كل منكما على زميله؟

١١- ألم يحدث شقاق يوماً ما بين والدي أحدكما؟

١٢- هل سبق لأحدكما أن فسخ خطبة؟

ويقول العالم النفسي "هيلتون" أنه يجب على كل إنسان يود أن يعيش سعيداً أن لا ينساق وراء همومه ووساوسه، بل عليه أن يتخيل السعادة ويوحي لنفسه بالقدرة على ضبط نفسه، تجنباً لحدوث أي خلاف بين الزوجين. وأن يكون لبقاً يحسن التصرف ويعرف كيف يسوي أموره ويحل مشاكله الشخصية بدون تدخل من الآخرين.

سعادتك في يدك

ويرى علماء الاجتماع أن سعادة كل إنسان في يده، وأنه يستطيع أن يحافظ عليها والتحكم في عقله، وبمقدرته على تكييف حياته بما تقتضيه الظروف الشخصية الطارئة، وأن كل من يريد أن يتزوج عليه أن يسع النصائح الآتية، وهي خلاصة تجارب وأبحاث طويلة بين مختلف الطبقات والأجناس والأوساط، حتى يعيش في سعادة ورفاهية:

أولاً: أسرة الشريك الآخر: "ابحث عن الأسرة قبل أن تبحث عن الفتاة" هكذا يقول المجربون، وذلك لأن الأسرة المتحدة المتماسكة المحافظة على العادات والتقاليد والتي لم يحدث فيها طلاق أو شقاق بين الأبوين إنما هي أسرة جديرة بالمصاهرة، أما إذا كان هناك خلاف مستمر بين الأب والأم فإن الأبناء يتأثرون به وتنطبع في نفوسهم صورة هذه الفوضى

الاجتماعية فلا يستطيعون أن يفهموا معنى السعادة الزوجية لأنهم لم يهدوها في محيطهم.

ثانياً: على الفتاة العاقلة أن لا تقبل الزواج من شخص مدمن على الخمر أو الميسر، حتى ولو نصح لها والداها بذلك ظنا منهما أنه سيدرك مسئولياته بعد الزواج، ويقلع من عاداته الذميمة، وذلك لأن الأبحاث السيكولوجية أثبتت أنه يندر أن يستطيع الإنسان الكف عن الإدمان بعد الزواج، وأنه لا سبيل إلى بلوغ هذه الغاية إلا بعد معالجة طويلة بطرق التحليل النفسي.

ثالثاً: يجب أن تستمر الخطبة مدة عام على الأقل على أن تفسخ إذا ظهر أن هناك تبايناً في الأخلاق والميول والطباع بين الطرفين.

رابعاً: لا يجب أن يتداخل الأقارب والأصهار في شؤون الزوجين الشخصية.

خامساً: من الأوفق أن يعش الزوجان بعيداً عن الأهل والأقرب.

سادساً: يجب على الزوجين أن يتبادلا الاحترام والثقة والحب، وأن يبتعدا عن الريبة والغيرة والشك، فلن يصاحب التوفيق زوج متشكك أو زوجة غيور فإن هذه الغيرة وهذه الشكوك كثيراً ما أدت إلى الطلاق.

سابعاً: يحسن أن يكون الزوج أكثر ثقافة من الزوجة، على أن تكون ثقافة كل منهما من نوع واحد.

ثامناً: يجب أن تتوفر لديهما الرغبة في إنجاب الأطفال والعناية بتربيتهم.

تاسعاً: من الأفضل أن لا يصر الشاب على أن يتزوج شابة أكثر منه مالاً وجاهاً إلى حد كبير.

عاشراً: تدوم السعادة الزوجية إذا استطاع كل من الطرفين أن يتغاضى عن الأمور التافهة، وأن يكون لبقا يتحاشى الاحتكاك الذي يؤدي إلى سوء التفاهم، كما يجب أن يكاشف كل منهما الآخر بمشاكله والصعوبات التي تعترضه، لكي يعملا معا في جو مشبع بالثقة المتبادلة والاحترام والتعاون على حل هذه المشاكل. وهذا ما يسمى "بالعلاج النفسي المتبادل" وهو يقوم بالمعجزات في إيجاد الصفاء والود بين الزوجين في حالات كان يظن أنه من المستحيل معالجتها

وقد اختلفت الآراء في شأن السن الملائمة للزواج السعيد، والأصح منها أنه لا يجب أن تتعدى هذه السن الثلاثين لكل من الجنسين، أما الزواج بعد الأربعين فقلما يكون موفقا، إذ أن عوامل نفسية كثيرة كالهم والخوف والتشاؤم تستولي على كل من الزوجين، فتؤدي إلى تعكير صفوهما، ويحسن أن لا يتجاوز الفرق بين سن الزوجين عشر سنوات.

وإذا كان سن الزوجة أزيد من سن الزوج، فإن الزواج كثيرا ما يكون موفقا، وهذا على النقيض من الرأي الشائع، ذلك لأن الزوجة تكون بحكم طبيعتها قادرة على إجابة رغبات زوجها على الصورة التي ترضيه.

خلافات بعدد نجوم السماء

كتب "فرانكلن ليفيت"، في مجلة "سيكولوجي" أن الخلافات والمنازعات التي تقع بين الأزواج متعددة كنجوم السماء، ويندر أن تجد فيها حالتين متشابهتين، ومنذ أشهر زارني زوجان متخاصمان، وقد أصرا على أن يزورا المكتب في وقت واحد فلم أجد وسيلة للتوفيق بينهما، وإن كنت قد شهدت نوعاً طريفاً من العراك، وأنكر كل منهما ما يوجهه إليه الآخر من اتهامات، ولكني لمحت أن المرأة كانت من النوع المسيطر الذي يجب أن يخضع الرجل لسلطانه. وكان الرجل من النوع المطواع الهزيل السباق دائماً إلى كلمة "نعم، يا عزيزتي". وبعد أيام زارني الزوج وحده، وقال أنه يثق بي ثقة كبيرة ويريد أن يفضي إلي بمتاعب حياته؛ فهو يعيش في جحيم ويرجو أن أجد له حلاً أن أنقذه ما استطعت إلى الإنقاذ السبيل.

ولأنقل للقارئ عباراته، قال: إذا تصادف ولاحت مني التفاتة صوب أي امرأة فأنا أغازلها. وإذا تلقيت خطاباً من أخي فهناك مؤامرة تنطوي تحته، وإذا زرت أمي فإنها تغريني على إتيان شيء ضد زوجتي. وإذا تأخرت عن موعدي دقائق فلا بد أني كنت على موعد مع فتاة، وهذا يحدث في الصباح والظهر والليل، فإذا عارضتها ركبت رأسها وقلبت البيت إلى جحيم، وفي مثل هذا الجو كان يعيش أطفالهما. وقد قالت الزوجة أنها

تحبهم، ولكن ما أعظم الفرق بين الأقوال والأفعال! وإنه لمن المتعذر أن تحمل امرأة على الاعتراف بخطئها، وقد اقترحت عليهما كل ما رأيت فيه إصلاحاً لحالهما ولكن دون جدوى، ثم قلت للزوج: إن ما سأقترحه عليك الآن ليس لي الحق في أن أدعوك لتفعله، ولكنه هو ما كنت أفعله أنا لو كنت في مكانك، أحزم أمتعتي وأسافر إلى بلد بعيد حيث أقضي بضعة شهور فإن رأيت أنها مستعدة للإصغاء إلي عدت وعشت معها وإلا انفصلت عنها إلى الأبد.

الزواج أخذ وعطاء

إنه من المستحيل أن يكون هناك حب وتجانس ثم يعيش الزوجان في مثل هذا الجحيم، أن الزواج أخذ وإعطاء، شركة في السراء والضراء، فإذا حاول أحد الزوجين أن يحكم الآخر ويتحكم فيه فلا بد أن ينشب النزاع بينهما إذا كانت هناك شرارة من الأنوثة أو الرجولة في الطرف الآخر.

وهذا يذكرني بحكاية سمعتها منذ فترة قصيرة. اتفق رجل وزوجه أن يتولى هو الأعمال الكبيرة وتشرف هي على الأعمال الصغيرة، ثم قال الزوج وهو يهز رأسه حيرة وأسفاً: "أتعرف أنني تزوجت منذ اثنتي عشرة سنة، ولكن لم يصادفني عمل كبير واحد طبقاً لتفسير زوجتي"!.

وكتبت لي امرأة: إنني أعيش في جحيم على الأرض أنني أحب زوجي حباً جماً ولكنه لا يفتأ يحدثني عن الفتيات اللاتي يعرفهن. وقد روت لي

بعض صديقاتي حادثتين عن خيانته لي، ولما واجهته بهما لم ينكر من أمرهما شيئاً، وهو مغرم بالقمار والشراب ويترك أطفاله على وشك الهلاك جوعاً، ومع ذلك فإني أحبه، فما أشقاني من امرأة!.

وبعض الرجال يحسبون أنهم مهما يفعلون فإن زوجاتهم على استعداد أن يتلقينهم بأذرع مفتوحة في أية ساعة عادوا إلى بيوتهم. ومثل هؤلاء الرجال لا أمل لهم في حياة زوجية سعيدة، وأية امرأة لها كرامتها لا يمكن أن تداوم العيش تحت سقف واحد مع رجل من هذا الطراز.

وبعض الأزواج يصرون على أن يحاسبوا على الصغيرة والكبيرة، قلما يعرفون التسامح فيعفون عن الهفوات، وهم ينسون أن المرأة بشر لا بد أن تخطيء. وكذلك المرأة كثيراً ما تصخب وتقلب الدنيا رأساً على عقب لكل تصرف غير مرض يأتيه زوجها. والنصيحة التي تقولها لكل من الزوجين هو أن يكون رفيقاً متسامحاً فيتجنب الكثير من المتاعب.

ولا ينبغي أن ينسى الرجل أن المرأة تحب أن تسمع دائماً عبارات المديح والثناء، تحب أن تسمع من وقت إلى آخر كم هي جميلة وكم هي محبوبة، وأن امرأة غيرها مهما تكن لن ترضي في زوجها آماله، وتذكر دائماً أن هدية صغيرة كباقة من الزهر أو صندوق من الحلوى تقدمها لزوجك على غير انتظار تفعل في نفسها فعل السحر.

زوجة مخالفة في كل شيء

وقد حكى لي أحد الأزواج عن متاعبه فقال أنه يقضي أكثر وقته في البيت في منازعات لا حد لها، فإن زوجته تخالفه في كل شيء، وإذا وافقها ألغى شخصيته، وإذا رأى أن يعترض عليها لم يفرغ من الشجار طول الوقت، وأعطاني مثلاً على ما يحدث فإذا قال مثلاً أنني سأخرج لأحضر صحيفة من صحف المساء، ردت عليه قائلة: وما حاجتك إليها، لو كنت في مكانك لما خرجت لمثل هذا السبب. ولكنه يريد هذه الصحيفة فيخرج ليحضرها. ولكن زوجه تظل تسفه عمله مما يعود على صحته بأبلغ الضرر لأنه رجل متعب الأعصاب، وقد نصح له الطبيب بأن يستريح قليلاً بعد الطعام فتساعده الراحة على سرعة الهضم. وقد ظل شهوراً يشرح لزوجته الأمر ولكنه لم ينجح مرة في تنفيذ ما أشار به الطبيب؛ فإنها تتبعه دائماً إلى غرفته حيث تشير أي موضوع للجدل ينتهي بأن تسوء حالة الرجل، وقد حدث ذات ليلة أن رجاها بأن تتركه وحده بضعة دقائق، ولكنه ما كاد يخطو إلى غرفته خطوة واحدة حتى رآها تتبعه فأصابته نكسة مفاجأة مصحوبة بحالة عصبية شديدة وقع على أثرها مغمى عليه.

الأزواج المتسلطون

وما كتبه "فرانكلين ليفيت" في مجلة "سيكولوجي" يصدق على الحياة الزوجية في مصر والشرق العربي، ففكرة التسلط توجد على الأكثر في نفوس الأزواج، وفي بعض الحالات تستولي على الزوجات. فالمرأة بحكم

أنوثتها وطبيعتها تعجب في الرجل بقوته وبأسه وهي تحب فيه قوة الجسد وقوة العقل ولكنها تحب فيه أيضاً أن يحترمها ويرعاها ويحدب عليها ويشعرها بشخصيتها؛ فالزوج الذي يحسب أنه حينما يعامل زوجته الأمر والنهي في كل الأحوال، ويقيم في البيت ما يشبه الأحكام العرفية والرقابة المحكمة، يحسب أنه يمارس حقاً طبيعياً، وأن مثل هذه المعاملة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق سيادته وإثبات رجولته، مثل هذا الزوج خطأ أشد الخطأ، فإن الرجولة الحقة هي الرجولة الكريمة التي تعرف أن تلائم بين التوجيه السديد من غير إعنات، والإرشاد الحكيم من غير تحكم، والنهي الكريم من غير إيذاء ولا تجبر، وقد سمعت من بعض الأزواج مفاخراً قوله: أن زوجتي ترتعد حينما تراني أغضب، وأنها لم تعص لي في حياتها أمراً. فلما سألته هل هو واثق من أنها تفعل ذلك طواعية ورضاء، ضحك ضحكة الساخر وقال: غصباً عنها.

كنت أحب أن ينجح مثل هذا الزوج في الإيحاء لزوجته باحترام شخصه، ورعايته حاضراً وغائباً. أما أن تكون مطيعة لأنها تخافه فهنا وجه الخطر والخطأ.. أما الخطر فمرجعه أن الذي يطيعك خوفاً قد يفكر في معصيتك سراً، أما الخطأ فمرجعه أن مثل هذه المعاملة لا تنمي الشخصية، فلا تصبح الزوجة معواناً لزوجها في شؤون الحياة، ولكن تصبح كما مهملا وأداة لا تفكير لها ولا رأي؛ فيخسرها إنساناً يحمل معه متاعب الحياة ويكسبها خادماً تفعل ما تفعله الخادم، وما أعظم الفرق بين الحالتين.

ولست أعني بذلك أن يلغي الرجل إرادته وأن تخرج زوجه على طاعته وحكمه، ولكن أعني أن يشعرها بطاعته لأنها تحبه، وتحس أنه حاميها ورجلها الذي تعتمد عليه لأنه أقوى منها عقلاً وأسلم تفكيراً وأصوب رأياً، وهو قادر ذلك أن يصل إلى ما يريد دون أن يكبت في زوجته شخصيتها وإنسانيتها.

والزوجات المتسلطات

أما الزوجة التي تتحكم في زوجها ويحلو لها أن تستمتع بسلطانها عليه، فلا يكاد يبرم أمراً أو ينقضه إلا أن كان بإذنها وإقرارها، فإنها زوجة شاذة، وأغلب الظن أنها تعاني مرضاً نفسياً، فإن المرأة بطبيعتها الصحيحة السليمة تكره الرجل الخاضع الخانع الذي لا شخصية له.

وقد أشار "فرانكلين ليفيت" إلى مسألة أرى أنها جديرة بالعناية من الأزواج المصريين والشرقيين بصفة عامة، وهي المجاملة بين الزوجين، وتقديم كل منهما الهدايا إلى صاحبه فهذا تقليد قلما يراعيه الأزواج والزوجات، على أن هدية صغيرة تقدم في عبارة رقيقة إلى الزوجة كفيلة أن تشيع الابتسام في وجهها والهناء في روحها، وكفيلة أن تريح من العديد من المتاعب والمنازعات.

صعوبات التفاهم الزوجي

حب الرجل عصفور نفور يحتاج إلى الحرية، والثقة، والقدرة على الانطلاق فمشاعره تختلف اختلافاً كبيراً عن مشاعر المرأة، فإذا لم يقبل أحد الزوجين الآخر، كما هو، وحاول إخضاعه لآرائه ومبادئه، كان معنى هذا أنه يعد نفسه للاصطدام بخيبة أمل مريرة، إذ من المستحيل معرفة من منهما أعمق إحساساً بالحب من الآخر.

والرجل يأنس إلى المرأة التي لا تسأله عن تصرفاته، ويوم يرى نفسه مضطراً لأن يدلي لزوجته بـ "بيان" عن جميع تصرفاته وأفعاله، وإلى أين هو ذاهب، ومن أين هو قادم، فإنه سيرى في هذا نوعاً من الحساب الذي تطلبه زوجته منه، فلا يلبث أن يطلبه بدوره منها، هذا فضلاً عن أنه سيعتبر مسلك زوجته بإزائه مسلك المتشككة في أخلاقه وسلوكه، ومن ثم تكون النتيجة: إما أن يرفض الإجابة على أسئلتها، وإما أن يقدم إليها إجابات لا تمت إلى الحقيقة بصلة!

وموقف المرأة يختلف في هذه الناحية عن موقف الرجل، فإذا كانت قد نشأت في أسرة يسودها الشقاق وعدم الاستقرار، فلا شك أنها تحلم بزواج يوفر لها حياة غير تلك التي عاشتها مع أسرتها؛ أي حياة الدعة والوفاق. وما دامت تحب زوجها، فلن تكون الحياة عبئاً ثقيلاً عليها بأي

حال من الأحوال، حتى ولو كان لديها من المشاغل ما يستغرق كل وقتها وجهودها، التي يجب ألا تدخر وسعاً في بذلها لإرساء قواعد حبها، وينبغي أن تعتبر الزواج سبيلاً يمكنها من بذل حريتها ووقف جهودها، لا لإسعاد نفسها بل لإسعاد الآخرين!

على أن دهشة المرأة من حاجة الرجل الملحة إلى الحرية لن تلبث أن تزول، إذا ما فكرت قليلاً في عاداته قبل أن يتزوج، وأبرزها: الأنانية وحب الذات! فالعلاقات العائلية التي كان يحرص على الاحتفاظ بها موصولة قبل زواجه، هي التي كانت تسهل له سبل الحياة في بيت أبويه ومع ذلك، فإن تلك الحياة السهلة لم تكن بدون مقابل، بل كان يدفع ثمنها من حريته، وذلك بخضوعه لسلطة الأبوين.

ومن ثم كانت تلك الفترة بمثابة فترة التمرين التي يجب أن يجتازها قبل أن يصبح مستقلاً في الحياة، لذا نراه بعد أن يصبح زوجاً يسلك في بيته مسلكاً يختلف عن ذلك الذي كان يسير عليه في بيت أبويه؛ فلا خضوع ولا طاعة، بل تحرر منهما، وقفز إلى الجانب الآخر وهو حب إصدار الأوامر والميل إلى السيطرة، عساه أن يعوض الفترة التي قضاها في بيت والديه يتلقى الأوامر وينفذها! هذا إذا انفصل الشاب عن أسرته انفصالاً تاماً، أما إذا ظل وثيق الارتباط بها بعد زواجه، فإن الأمر سيزداد تعقيداً، إذ أنه سيعمد إلى المقارنة الدائمة بين الرعاية التي كانت تحوطه بها أمه قبل الزواج، وتلك التي تحوطه بها الآن زوجته، وقد تقوده هذه المقارنة إلى كثير من التخبط والارتباك في حياته الزوجية!

أهمية الرضاء الجسدي في الحياة الزوجية!

ومع أن الحب مكون من عدة عناصر، بالإضافة إلى عنصر الرضاء الجسدي، إلا أنه يجب علينا أن لا نغفل أهمية هذا العنصر في الحياة الزوجية، لأن الرجل ينظر عادة إلى العلاقات الجنسية بشيء من الاعتزاز الممزوج بالكرامة، في الوقت الذي لا تقيم فيه المرأة كل هذا الوزن لتلك العلاقات، ولا تنظر إليها بعين نظرة الرجل، مخافة أن تخيب ظن الرجل فيها إذا هي عجزت عن إرضائه من هذه الناحية!

على أنه قد يحدث أن يجد الزوج نفسه "فاقد الرجولة" في بدء حياته الزوجية!.. ولا شك في أن الأمر سيكون بالغ التأثير عليه، حتى إذا كانت زوجته غير متعجلة، أو أنها تجده أمراً طبيعياً أن ينتظر الزوجان الوقت الكافي لإنضاج شعورهما بالرغبة وطلب المتعة! ففي هذه الحالة، يجب على الزوجة أن تكون بالغة الرقة في تصرفاتها إزاء زوجها، وذلك بأن تلقي في روعه أن العلاقة الجنسية ليست بالأمر الرئيسي في الحياة الزوجية، وأنها قادرة تماماً على الانتظار، حتى تكمل الأيام امتزاجهما الروحي الذي سيؤدي حتما إلى امتزاجهما الجسدي الكامل.

و"فقدان الرجولة" قد يحدث للرجل وهو كامل الرجولة، ولكن شيئاً من الارتباك، أو الرهبة، يعتريه في أيام زواجه الأولى، فيكون من شأنه الإخلال بتوازنه من هذه الناحية، والدليل على ذلك هو أنه إذا هونت الزوجة من الأمر ولم تعره التفاتها، فتظهر أمام زوجها كما لو كانت غير

مكترثة به، فإنها سترى أنه لن تمضي بضعة أيام حتى يعود إلى الزوج اتزانه الجنسي، وتصبح حياتهما الزوجية طبيعية.

وعلى الزوجة أن تحرص غاية الحرص على عدم الإشارة أو الخوض في هذا الموضوع، حتى لو كانت منفردة بزوجها، ولتحذر من أن تجعل منه مادة للفكاهة أو السخرية، لأنها لا تشعر بمدى الألم الذي يستحوذ على الرجل، عندما يرى أنه عاجز عن القيام بواجباته الجنسية نحو زوجته!

لا تتركي أولادك يشغلونك عن زوجك!

حين يرى الشاب نفسه وقد أصبح فجأة رجلاً متزوجاً، يميل إلى الاستخفاف ببعض اللفتات الهيئة والتفصيلات الدقيقة التي تعيرها زوجته من ناحيتها اهتماما بالغاً؛ فهي ترى في هذه الهنات الهينات "بارومتر الحب"! وهي بلا شك مخطئة في هذا التقدير، أما هو فيرى في اهتمامها بهذه التوافه نوعاً من عدم الثقة في حبه لها.. هذا الحب الذي يراه ــ من زاويته الخاصة ــ في غير حاجة إلى هذه التعبيرات الخارجية التافهة!.. ويبدأ العتاب في الظهور من الجانبين، وهو عتاب لا مبرر له ولا فائدة منه، لأن هذه الأمور الرقيقة، الدقيقة، الحساسية، والتي أشرنا إليها، تفقد كل قيمتها المعنوية إذا جاءت نتيجة إكراه أو بعد عتاب ولفت نظر؛ فرونقها وبهجتها يتمثلان في أن تجيء عفو الخاطر، وبدون تدبير سابق.

والمرأة تتكلم بجوارحها، سواء أكان ذلك قبل الزواج أو بعده، وهي قادرة على التعبير عن كل خلجات نفسها؛ ولذلك تستولي عليها الدهشة من الصمت الذي يلوذ به زوجها، بعد أن كان في مبدأ علاقتهما لا يملك غير بضاعة الكلام يعبر بها عن شعوره نحوها وحبه لها. وكان إذا عز عليه الكلام لجأ إلى الكتابة، فما يكاد يدبج لها خطاباً حتى يردفه بآخر؛ فإذا التقيا لم يتعب من التحدث إليها عن مشاريعهما المشتركة المستقبلة.

وهنا ينبغي أن نلفت نظر الزوجة إلى أن عدم الإكثار من الكلام، في الحياة اليومية العادية، ليس معناه أن الزوج قد مل الحياة الزوجية، بل قد يعني أنه أصبح لا يجد العبارات اللائقة للتعبير عن مشاعره، أمام ذلك الحب العارم والحنان الدافق اللذين تغمرهما به زوجته! إن على الزوجة أن تعلم أن ذلك ليس مرجعه إلى أن حب الرجل قد نقص أو أن جذوته قد انطفأت، بل مرجعه إلى أن حبه بعد الزواج قد اكتملت "رجولته"! فقد أصبح الزوج على عتبة حياة جديدة، ركز فيها كل آماله، وجعل من موئلا لسعادته ومعقداً لرجائه! والزوجة التي يدهشها أن ترى زوجها يهتم بأشياء أخرى غير حبها، تنسى أن هذا الاهتمام ليس مبعثه الأنانية بل أنه ضرورة حيوية بالنسبة للزوج!.. ذلك أن الرجل في حاجة لأن يكرس نفسه ويركز تفكيره في العمل الذي يؤديه، بغض النظر عن الناحية المادية لذلك العمل.

وهو يستشعر بعد زواجه سعادة كبرى، عندما يرى نفسه قد بدأ مرحلة جديدة من حياته، يؤدي فيها عمله في جو من الحياة البيتية

المستقرة، إذ أن مرحلة الخطبة ليست مرحلة استقرار بل هي فترة قلقة، فضلاً عن أنها فترة تحضيرية لحياة الزواج المستقرة التي يجد فيها جميع المقومات التي تكفل له أداء عمله على الوجه الأكمل؛ ففي الوقت الذي يكون الزوج فيه قد بلغ قمة إنتاجه، نراه يستغرق في عمله استغراقاً يكاد ينسيه حبه، إلا أنه يجب أن يظل ساهراً على هذا الحب، يعززه ويؤكده، وهو يكافح في معركة الحياة! فإذا لقي الزوج تشجيعاً من زوجته، ولم تزعجه بملاحقته في كل مكان، فإنهما سيريان أن شركة في العمل قد قامت بينهما وطيدة الأركان، دون أن يبذلا جهداً في تكوينها.

صحيح أنه ليس في مقدور الزوجة أن تشترك مع زوجها اشتراكاً فنياً أو عملياً في أداء عمله، ولكنها إذا سهلت له مهمته فإنها تكون بذلك قد قامت بأكبر دور عليها أن تقوم به كزوجة؛ إذ أن حياة الرجل المتزوج تتوقف على زوجته وتعتمد عليها، وهو لا يقبل على عمله الإقبال الذي يمكنه من النجاح فيه، إلا إذا أحس بأن زوجته تحبه الحب الذي يدفعه دائماً إلى الأمام، وأنها تتلقاه دائماً بذراعين مفتوحتين !

وينبغي على الزوجة إذا أنجبت أن لا تستغرق في أولادها استغراقاً يفقدها جاذبيتها وخصائصها كزوجة، بل عليها أن تداوم على العناية بنفسها وعلى زيادة معلوماتها وثقافتها، لأن هذا هو أقوم السبل المؤدية إلى اتحادها وامتزاجها بزوجها من ناحية، كما أنه أسلم الطرق التي تسمح لها بالاشتراك في تربية أولادها والإشراف على تطورهم في مراحل حياتهم

المختلفة. وعلى الزوجة أن تعلم أن العناية بنفسها أقوى الضمانات لبقاء شخصيتها!

دع لزوجتك إدارة منزلك!

وإذا كان كسب الزوج من عمله وفيراً، فإن ذلك يجب أن لا يعوق الزوجة عن التوفر على خدمة بيتها وأولادها، ولو كان في هذه الخدمة تنازل من جانبها عن بعض حقوقها؛ فإنه من الأفضل دائماً أن تحيا الزوجة حياة متوسطة، لتتمكن من الإشراف على تربية أولادها بنفسها، بدلاً من أن تحيا حياة مسرفة ينتج عنها إهمالها هذا الواجب المقدس!

أما إذا لم يكن دخل الزوج كافياً، واضطرت الزوجة لمعاونته _ أي أن تعمل لتكسب ما يعين الأسرة على الحياة _ كان عليها في هذه الحال أن تبذل أقصى جهدها لتوفير جو هادئ تعوض به أسرتها عن حياة لا أناة فيها، نظراً لاضطرار الزوجين إلى العمل لكسب الرزق!

والمال في العادة موضوع مناقشات مستمرة في كل أسرة، فمن الأفضل إذن أن يتفق الزوجان، في مطلع حياتهما الزوجية، على أن تعطى الزوجة مبلغاً معيناً من المال، يترك لها حرية التصرف فيه للإنفاق على البيت. وقد تسرف في بعض النواحي، إلا أنه يلذ لها كثيراً أن ترى نفسها مسئولة عن إدارة بيتها. وعلى العموم فإن المرأة بطبيعتها أكثر مرونة وقدرة

على مسايرة الظروف من الرجل، ومن ثم كان عليها أن تستفيد من هذه الصفات التي تفردت بها لتجني منها أبرك الثمرات!

مسلك الآباء قبل زواج أبنائهم

من المقطوع به أن اختيار الزوج أو الزوجة هو من الأمور ذات الأهمية الخاصة، بحيث ينبغي أن لا ندع مسئولية هذا الاختيار تقع بأكملها على عاتق أي من الطرفين، فإذا كان الوالدان قد ربيا ابنهما تربية سليمة، فإن مهمة زواج هذا الابن ستتم بنفس الأسلوب السليم الذي اتبع في تربيته. وإذا تمكن الوالدان من أن يجعلا من حياتهما مثلاً رفيعاً يسير الأولاد على هداه _ بالفعل لا بالقول _ فإن الفرص ستكون سانحة لهؤلاء الأولاد، كي يحيوا حياة زوجية ناجحة!

وتتعلق سعادة الزوجين المستقبلة بالأسلوب الذي يكون أبواهما قد اتبعاه معهما، وهما يلقيان إليهما بدقائق التطورات الجنسية أثناء مرحلة المراهقة؛ فإذا كان الوالدان قد سلكا معهما طريقاً مبسطاً في هذه الناحية، فإن حالتهما العصبية تكون متزنة عند الزواج، مما يساعدهما على الحياة في هدوء!

ومن واجب الآباء أن يتجنبوا ما استطاعوا إطالة فترة الخطبة، لأنهم بذلك يسرعون بأبنائهم إلى حياة الاستقرار التي ينشدونها ويتوقون إليها. ومن الأفضل التريث بضعة أشهر، حتى يصبح من الميسور إعداد ممكن

يستقل فيه الزوجان بحياتهما، ومن الخير للآباء أن لا يتعجلوا، حتى لا يجدوا أنفسهم مضطرين إلى العيش مع العروسين تحت سقف واحد، ذلك لأن الحياة المشتركة تباعد ما بين الزوجين، ولا تجعلهما يشعران بسعادة الحياة الزوجية المستقلة.

ولقد كانت الرغبة في الاستقلال هى المستحوذة على جميع الشبان الراغبين في الزواج، في جميع العصور، وإذا وجد الآباء أن أبناءهم في حاجة إلى عون مالي بعد الزواج، فعليهم أن يقدموا لهم هذه المعاونة مصوغة في قالب من العطف البالغ والحنان السابغ، وإلا كانت هذه المساعدات المالية باعثاً على إحساس الأبناء بالضيق والحرج، والشعور بظلم المجتمع الذي جعلهم عاجزين عن القيام بأود أنفسهم دون استهانة بآبائهم. فإذا هون الآباء من قيمة الخدمات التي يؤدونها لأولادهم، وبذلوها لهم كما لو كانت أمراً طبيعياً محضاً، كما هو الأمر في الواقع فإنهم سيوفرون على أبنائهم الشعور بأنهم عبء أو عالة على آبائهم!

لا تنتظروا من أبنائكم شيئاً.. بعد الزواج !

هذا ما يجب على الآباء فعله مع أبنائهم قبل زواجهم. بقى سؤال واحد نختم به هذا البحث، وهو: ماذا يجب أن يفعل هؤلاء الآباء بعد زواج أبنائهم؟

وأول ما يجب على الآباء ملاحظته، هو أن لا يفرضوا على أولادهم أية واجبات من أي نوع كان، فإذا وطن الآباء أنفسهم على عدم توقع أي شيء من أولادهم، وعدم مطالبتهم بأي شيء، فإن أقل لفتة أو رعاية من هؤلاء الأبناء سيتقبلها الآباء كما لو كانت منحة سخية تغمرهم بالغبطة والفرح!

وإذا وجد الآباء أنفسهم في مركز يسمح لهم بأداء بعض الخدمات المؤقتة لأبنائهم بعد الزواج، فعليهم أن لا يستغلوا هذا الموقف كي يفرضوا أنفسهم على أبنائهم، وعليهم أن يعلموا جيداً أنه ما من شخص في الوجود لا يمكن الاستعاضة عنه بشخص آخر، وأنهم إذا لم يقوموا هم بأداء تلك الخدمات فإن غيرهم سيقوم بها، بل قد يقوم بها على وجه أفضل!

والذي يحدث في غالب الأحيان أن الأبناء يكلفون آباءهم بهذه الواجبات، رغبة منهم في إدخال السرور على قلوبهم وعدم المساس بأحاسيسهم فيما إذا كلفوا غيرهم القيام بها! وإنه لمن القبح بمكان أن يتخذ الآباء هذه الخدمات لتمكنهم من أدائها له.

ومن غير المرغوب فيه أن يظل أحد الزوجين متشبثاً، بعد زواجه، بأسرته التي نشأ فيها، مرغماً شريكه الآخر على أن يتبعه إليها؛ فالزواج خلية جديدة يجب أن تتكون مستقلة عن خلايا أسرة الأبوين وأنه مما يسهل الأمور أن يكون للآباء ما يشغلهم ويملأ فراغ حياتهم ويستغرق كل وقتهم.

وهناك حقيقة مقررة يجب أن نعترف بها، وهي أننا نستطيع دائماً أن نجد حلولاً لأشد الأمور تعقيداً، إذا نحن نظرنا إلى الحياة في هدوء، وحاولنا مواجهة مشكلاتها واحدة واحدة، بدلاً من أن نكدس مشاكل الماضي على مشاكل الحاضر والمستقبل. (للباحثة الفرنسية الدكتورة فرناند ايزانبير، تلخيص: كليم أبو سيف).

جهل الزّوج يسبّب الفشل في العلاقات الجنسية

الحب شيء غامض، غير مرئي ولا محسوس، ولكنه مع ذلك حقيقة واقعة، وهو سريع التبدد كالدخان في مهب الريح، ولكنه مع ذلك أقوى من الموت، وقد يتحول الحب من نزعة وحشية جارفة إلى نوعٍ من العاطفة التي لا تتحلل ولا تقتصر على ذات صاحبها، والتي تسيطر على جو الأسرة حتى ليكتشفها الشخص الغريب دون صعوبة، ولو أحسن الإنسان تغذية هذه العاطفة وتنميتها، لاستطاعت أن تنمو وتزدهر بكل ما في جمالها من قوة، مهما تتقدم السن وتخمد جذوة الحياة الجنسية.

والحب يصدر عن عوامل عضوية وعقلية معاً، ذلك أن الإفرازات التي تطلقها الغدد التناسلية من الخصية "عند الذكر" أو المبيض "عند الأنثى"، لها تأثير نافذ المفعول في مختلف نواحي النشاط العقلي والعاطفي، فهي تغذي الكائن العضوي كله بالرغبة الجنسية، وتلهمه الإخلاص والحب، وتضيء العالم في أنظار المحبين بهجة الربيع الدائمة. وفي عبارة أخرى تهيئ الدواعي الفسيولوجية لأرفع أنواع النشاط العقلي، وسواء كان ذلك أمراً محققاً في الشعور أو في اللاشعور، فإن الرغبة في النسل هي مصدر الحب.

والإنسان مزيج من الوحدة والكثرة، وعليه أن يبدع وأن يحب وأن يصلي بكل جوارحه وأعضائه. وشباب اليوم، كما كان في الماضي البعيد، يجد متاعه في التلهي بقدرته الفطرية على اصطناع وسائل الحب والغزل، تلك القدرة التي تنطوي على خداع خطر ولكنه ساحر والنتيجة التي تترتب على ذلك أن اصطناع الحب وخصوصاً في الزواج، لا يحظى في كثير من الأحوال بنجاح مستمر، ذلك أن الحب الذي ينتهي بالزواج ليس بالمشروع الهين اليسير، ومن سوء الحظ أن علم الزواج بقي كما هو مجرد محاولة بدائية، برغم أن تطوره أصبح أمراً ضرورياً سواء بالنسبة لسعادة الإنسان أو بالنسبة لتقدم الحضارة.

إن الهدف المباشر للزواج هو إرضاء الدافع الجنسي والرغبة في التناسل، وهذا الدافع قانون صارم من قوانين الطبيعة ولا يقتصر على كونه مجرد نوع من التوهج العاطفي، بل أنه هو المصدر البيولوجي الذي تنبع منه الرغبة الجارية والعمل على تحقيقها. ومثل هذه الحياة الجنسية الخصبة المشتركة هي حجر الزاوية للاستقرار العائلي والسعادة.

وتنحصر مشكلة الزواج في العمل على تحويل العلاقة بين الزوجين إلى نوع من الوحدة المتصلة؛ فكل من الذكر والأنثى ينجذب إلى صاحبه بفضل الخصائص المتعارضة لدى كل منهما، ولكن النشاط الجنسي يسيطر على الجسم والعقل معاً. ويختلف كل من الرجل والمرأة عن الآخر اختلافاً عميقاً، فهما متحدان اتحاداً وثيقاً ولكن تفصل بينهما في الوقت نفسه هوة عميقة لا قرار له

ومن هنا تصبح الوحدة الدائمة بين الزوجين أمراً عسيراً بسبب الاختلاف الفسيولوجي والعقلي النى هو جوهر الأنوثة والذكورة؛ فالرجل إيجابي، خشن، منطقي، والمرأة سلبية وعاطفية، حدسية وجهازها العصبي ومزاجها العام يؤهلانها للأمومة. ومن هنا كان الزواج ارتباطاً بين فردين مختلفين وإن كان كل منهما يكمل الآخر.

وهذه الخصائص التي يتميز بها كل من الشريكين، هي المسئولة عن كفاءة هذا الارتباط ومدى الصعوبات التي تواجهه في وقت معاً؛ فالزوج والزوجة لا يفترقان عن بعضهما البعض بسبب اختلافات عضوية أو عقلية فحسب بل أن هذه الاختلافات تتغير من أسبوع لأسبوع طبقاً للإيقاعات الجنسية لدى كل منهما. وتبدو هذه الإيقاعات الجنسية أكثر وضوحاً لدى المرأة منها لدى الرجل بدرجة لا مجال للمقارنة فيها، وطوال فترة الدورة الشهرية لدى المرأة تطرأ تقلبات مختلفة تؤثر في النشاط العام وفي الشجاعة وفي المزاج والرغبة الجنسية. وتظهر لدى الرجل كذلك ذبذبات تؤثر في مزاجه ونشاطه، وينبغي أن تتيح لنا هذه المعرفة فهما متعادلا للأحوال المختلفة لدى كل من الرجل والمرأة، يمكن أن يحول دون وقوع كثير من المآسي.

والنجاح في الزواج يتطلب حظاً من ضبط النفس كما يتطلب قوة الشخصية، وبعبارة أخرى أن قوة الشخصية أمر لا غنى عنه في الحياة الجنسية المنظمة تنظيماً سليما. والامتناع عن المباشرة الجنسية خلال الحياة الزوجية يتطلب اتزاناً عصبياً وقدرة أخلاقية. وهي لدى كثير من الأفراد

تعتبر بطولة حقة، والحالة المثالية قبل الزواج هى العفة، وتقتضي تدريباً خلقياً منذ سن باكرة. إنها أسمى تعبير عن تهذيب النفس وامتناع المرء بمحض اختياره عن العملية الجنسية إبان شبابه، يرفع من قيمة الحياة أكثر من أي جهد أخلاقي أو جسمي آخر. ذلك أن الالتجاء إلى النسوة من البغايا شديد الضرر، لأن التوسل إلى الحب بالمال يحط من قيمة العمل الجنسي الحقيقي، إذ يجعله مفتقراً إلى السمة الجوهرية له، وهي التبادل العميق بين الطرفين، بل أن الحب الحقيقي نفسه قد لا يحمي الزوج والزوجة من بعض الأخطار التي تتعرض لها العلاقات الجنسية.

ذلك أن الإفراط الجنسي في المراحل المبكرة قد يحول دون نمو الجسم والعقل النمو الكامل، وكذلك نجد أن الإفراط الجنسي في المراحل المتأخرة يعجل بنهاية العمر والشيخوخة، والحب لا يمكن أن يعيش جنباً إلى جنب مع الجهل والأنانية، كما لا يمكنه أن يعيش مع المرض، ولما كانت العفة لدى الفتيات والأولاد على السواء أبعد من أن تكون هي القاعدة السائدة أصبح من الواجب على المحبين أن يتأكدوا قبل الزواج مما إذا كانوا خالين من الأمراض التناسلية أم لا.

ويوجد أناس أقوياء جنسياً كما يوجد أناس ضعاف جنسياً، ومن الممكن أن يزاول الاتصال الجنسي في أي وقت من الأوقات، وإن كان الاتصال الجنسي لدى الحيوانات الثديية الأخرى لا يزاول إلا حين تشتد حرارة الجو؛ ولذا كان من الواجب أن يحل الذكاء وضبط النفس محل الغريزة في مباشرة الحياة الجنسية، وقد جعلت التغييرات الضخمة في طبيعة

كل فرد من المستحيل بسط القواعد الدقيقة في هذا الصدد، وينبغي على كل زوجين أن يدخلا في اعتبارهما ما يتميزان به من خصائص عقلية وجسمية معاً، ذلك أن الفشل في الحياة الزوجية يأتي دائماً من الجهل الفني بهذه الأمور.

على أن المحبين نادراً ما تتحقق بينهم المعاشرة الكاملة، وغالباً ما تكون الشهوة الجنسية لدى الرجل أقوى منها لدى المرأة، وقد تنجم حالة عدم الاكتراث الجنسي عن جهل الزوج أو وحشيته، فالأنثى في المملكة الحيوانية دائماً هي التي يحاول الذكر إغراءها واجتذابها.

وتميل العملية الجنسية في الحياة الزوجية إلى أن تصبح ضرباً من النشاط الرتيب الآلي، ولكنها على العكس من ذلك يجب أن تحتفظ بمعناها العميق، ويجب أن تشترك جميع الحواس وخاصية حاسة الجمال فيها أن القدرة على السمو بالرمز الذي يشير إليه الفعل الجنسي، وهي قدرة لا تتحقق إلا عن طريق العقل والروح، هي التي تميز الإنسان عن الحيوان. وينبغي أن يهيئ الزواج بيئة صالحة لإنجاب الأولاد؛ إذ أن النمو البطيء للأطفال، الذي تقتضيه خصائص تكوينهم العضوي والروحي يتطلب دوام العشرة الإنسانية، وبعبارة أخرى يتطلب الارتباط بزوجة واحدة وعدم تفكك الحياة الزوجية وتحللها. ولما كانت طبيعة الأطفال تتوقف على نصيبهم من الصفات التي يرثونها عن آبائهم، فإن الاختيار الحكيم لرفيق العمر يغدو أمراً ذا أهمية قصوى، وبهذه الطريقة فحسب يمكن تطبيق علم تحسين النسل.

والوحدة العقلية بين الزوج والزوجة أمر مرغوب فيه، وعلى الرغم من أن الذكاء الأنثوي يختلف عن الذكاء لدى الرجل فإنه لا يقل عنه، وينبغي على الفتيات أن يتلقين حظاً من التعليم العقلي مثلما يتلقى الأولاد، ولكي تلعب الفتاة دورها الذي اختصت به في الحياة، فهي في حاجة إلى معرفة واسعة المدى. ويجب ألا تقصر الفتاة اهتمامها على ما يتعلق فقط بشئون تدبير المنزل أو بالواجبات الاجتماعية، إذ سرعان ما يصاب الحب بالذبول وفقر الدم إذا لم يكن له معين من النشاط العقلي.

والواقع أن النشاط الجنسي قد حرم من نتائجه الطبيعية بسبب التقدم الفني الذي أحرزته وسائل التعقيم أو تحديد النسل، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل القانون البيولوجي للإنسان سارياً. فمن حيث أننا جزء من الطبيعة، فنحن لا نستطيع إلا أن نخضع لقوانينها الحتمية النافذة، والحب الجدب العقيم قد يغرق في خضم من الكتابة الرتيبة أو الحمق الذي ينطوي على الأثرة. وعلى الجملة فإن هؤلاء الذين نقدم لهم العمر دون أن ينجبوا أطفالاً، يعيشون فيما هو أشبه بصحراء قاحلة.

زد على ذلك أن الحد من النسل بصورة غير مرضية أمر له خطره، وذلك أن الطفل الوحيد يعيش محروماً من الرفاق، ومن التوجيه الذي يسهم في تكوينه، ومن المساعدة التي يمنحها إياه أخوته وأخواته لو كان له إخوة. وإنك لتجد في الأسرة الكبيرة العدد قدراً أكبر من المرح والمساعدة المتبادلة أكثر مما تجد في الأسرة الصغيرة. ولعل إنجاب ثلاثة أطفال هو الحد الأدنى الذي لا غنى عنه لتحقيق الانسجام في الأسرة وللمحافظة على

الجنس من الانقراض. ولا تتمثل الوحدة الاجتماعية الحقة في الفرد المنعزل، ولكنها تتمثل في هذه المجموعة الوظيفية التي تتكون من الزوج وزوجته والأبناء.

ولعلنا لم نفهم بعد على الوجه الأكمل أن الحب ضرورة وليس شيئاً كمالياً. إن الحب هو العنصر الوحيد الذي يستطيع أن يربط الزوج والزوجة والأطفال معاً في رباط واحد، إنه النوع الوحيد من الأسمنت المسلح الذي يبلغ من قوته أنه يستطيع الربط بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، والموظف والعامل في الأمة الواحدة. فإذا لم نكن نملك الحب داخل المنزل فلن نملكه في أي مكان آخر.

إن الحب ضروري مثله مثل الذكاء، ومثل إفرازات الغدة الدرقية أو الإفرازات المعوية، وما من علاقة إنسانية مرضية يمكن أن تقوم ما لم تستلهم الحب. وهؤلاء الذين يبلغون مراتب العظمة في مجالات العمل والفن والعلم أناس ذوو دوافع جنسية قوية. ولا يوجد بين الأبطال والغزاة الفاتحين أناس ضعاف جنسياً، ولكن الحب الرفيع يحتاج إلى إرواء مادي. وقد يأتي الإلهام من قمع الرغبة الجنسية "ولو أن بياتريس كانت خليلة للشاعر الايطالي العظيم دانتي، لما كنا أغلب الظن قد سمعنا عن الكوميديا الإلهية".

ونختم مقالنا هذا فنقول: أن الرجل والمرأة لا يملكان معرفة فطرية بما يتطلبه الحب الزوجي من عوامل جسمية وعقلية واجتماعية، ولكنهما

قادران على تعلم المبادئ والخبرة العملية التي لا غنى عنها لهذه العلاقة المعقدة. وجدير بالأزواج والزوجات المقبلين على الزواج أن يكونوا حكماء في استخدام ما يتمتعون به من تقدير القيم المادية والروحية، حين يقدمون على اختيار رفيق حياتهم وحين يستعدون للمغامرة الكبرى، ألا وهي الزواج.

أما هؤلاء الذين تزوجوا وربما كانوا قد أصيبوا فعلاً بخيبة أمل، فجدير بهم أن يعرفوا أن الفشل أمر يمكن تجنبه وأن النجاح يمكن تحقيقه، ذلك أن الذكاء الذي أتاح للرجل أن يسود العالم المادي، يستطيع أيضاً أن يوجهه ويقوده في مملكة الحب. (من كتاب "الإنسان، ذلك المجهول"، تأليف ألكسيس كاربل) .

لماذا يخون الأزواج زوجاتهم؟

عندما يختلط الجنس بالحب تماما، فإنه لا يمكن أن يمارس بعيداً عن نطاق الزوجية دون أن يحدث اضطرابات لشخصية من يقدم عليه، وفي المجتمع الذي نعيش فيه في اليوم، تقضي الأخلاق والقانون بأن يقتصر الرجل نشاطه الجنسي على امرأة واحدة طول حياته، ومع ذلك فإن كثيرين من الأزواج يرتكبون خيانات زوجية.. فما السبب في ذلك؟

أغلب المتخصصين في شئون الزواج وعلماء النفس يتفقون على أن الخيانة الزوجية تعد بصفة عامة من أعراض الاضطراب العاطفي، والأسباب التي يذكرها الرجال تبريراً لخيانتهم ليست إلا خداعاً للنفس، وهي تخفي عادة دوافع أكثر عمقاً وأقل بهجة.

إن الرجل الذي يطوي جوانحه على إحساس بالنقص، قد يخون زوجته لأنه يحتاج إلى إعادة تأكيد من مصادر كثيرة على أنه شخص جذاب، وإن كان هذا التأكيد لا يبقى لديه طويلاً بسبب حالته العصبية، فهو قد يخدع نفسه باعتقاده أن مغامراته الغرامية ليست إلا مزالق للعاطفة التي يندفع نحوها بقوة لا قبل له بدفعها، في حين أنه تتجه نحو هذه المزالق متعمداً، على أمل أن يحدث له شيء ما..

والرجل الذي يكن لزوجته كرهاً عميقاً، قد يجد في غرام آخر طويل الأمد راحة لنفسه بحسبان ذلك وسيلة لعقاب زوجته عن طريق خداعها ومنح بعض أو كل حبه لمخلوقة أخرى.

والرجل الذي يعاني عجزاً جنسياً، قد يرتكب خيانات متكررة لمحاولة إقناع نفسه بأنه إنسان مشبوب العاطفة وأن زوجته هي المصابة بالبرود الجنسي!

والزوج الذي يخون زوجته بحجة أنها لا تفهمه، إنما هو في الغالب يحاول أن يلومها على تقصيره هو، وهو لا يحبها كثيراً، بل أنه لا يحس بحاجاتها وأمزجتها، ولما كان هو نفسه لم يتعلم قط أن يعطي، فإنه يعتقد أن الحب ليس إلا أخذ فقط، أينما وحيثما استطاع.

والسبب الأول لهذه النماذج كلها من الخيانات الزوجية هو عدم النضج العاطفي، ويجب على الفتى، وهو في مرحلة النمو، أن يتغلب على كثير من الأزمات العادية في تطوره العاطفي، فإن قدرته على الحب وارتفاعه عن أنانية الطفولة لا يمكن أن ينمو إلا بعلاقات الحب في بيته أولاً، ثم هو بعد ذلك يواجه هذا النزاع العتيد بالرغبة في الفوز بكل حب أمه، وإن كان يحاول في الوقت ذاته أن يحب منافسه الأكبر، الأب! وعليه أن يؤلف بين هذه الانفعالات كلها وأن يتحكم في غيرته..

وفي النهاية، وبعد أن يقضي تماما على كل اهتمام جنسي للطفل في أمه، فإنه يبعد الجنس والحب عن عقله، وفي خلال سنوات المراهقة يجب عليه أن يحاول مرة أخرى أن يدمجها في الإحساس الذي نعرفه جميعاً باسم حب الجنس الآخر.

وفي كل أزمة من هذه الأزمات، إذا كانت أمه ضنينة بحبها له، أو كان والداه جافين باردين أو ليس بينهما توافق، فإن الطفل قد يصاب بصدمة خلال نموه نحو النضج العاطفي، وعندئذ يفقد القدرة على أن يحب أية امرأة بطريقة إيجابية، وبدلاً من ذلك يظل الحب عنده مجرد عاطفة طفولة كثيرة المطالب، أنانية، غير مأمونة، ومثل هؤلاء الرجال يحاولون الفوز بحب النساء، ولكنهم لا يطمئنون أبداً إلى أنه حب مخلص، ومن ثم فإنهم يتجهون إلى المداعبة!

وقد وجد الدكتور "كارل منجر" مدير "مستشفى منجر" في توبيكا بولاية كنساس، أن الرجل المتزوج الذي يقوم بمغامرة عاطفية خارج منزله هو في الغالب رجل لا يحب أية امرأة حباً كاملاً، لأنه يخشى النساء ولا يثق فيهن، بل ويكرههن على الرغم من أنه قد لا يدرك شيئاً من ذلك فما الذي يمكن أن تدلنا عليه دراسة الخيانة الزوجية بالنسبة للزوج الذي يبقى مخلصاً؟

هناك عامل واحد يتعلق بالرأي العام، وقد كان الدكتور "الفريد كينزي" يظن أن هذا العامل هو القوة الوحيدة التي تردع الأزواج عن

الخيانة، في حين أن كثيرين من علماء النفس لا يعلقون كثيراً من الأهمية على هذا العامل، بل أن أغلب الخبراء يقولون أن العامل الأساسي لذلك عامل داخلي وهو رغبة الرجل في السيطرة على نفسه، ويقول الدكتور "جان مونترز" المحلل النفسي المعروف بنيويورك أنه يعتقد أن عوامل الضبط الخارجي ليس لها أكثر من ٢٠% من القوة التي تردع الرجل عن الخيانة، أما الـ ٨٠ في المائة الأخرى فإنها تنبع من ذات نفسه.

وهناك عامل ثان، هو الرضاء الجنسي، فإن المنفذ الملائم داخل نطاق الزوجية هو أفضل ضمان ضد الخيانة الزوجية، وقد كتب جورج بوناردشو مرة يقول: "أن الزواج محبوب لأنه يجمع بين الحد الأقصى من الإغراء والحد الأدنى للفرص". ولكن هذه إجابة مبالغ في قيمتها، فكل الأدلة الحيوية تثبت أن الرجال ليسوا أكثر شبوباً في العاطفة من النساء، بل أن العادة أو النشأة هي التي تجعلهم يعتقدون أنهم كذلك.

وفي إحصائية شملت حوالي ٧٠٠ زواجا تبين للعالم النفساني "لويس تيرمان" الذي قام بها، أن أغلب الأزواج غير المخلصين ذكروا له أن علاقاتهم الجنسية مع زوجاتهم مناسبة تماماً، وأن الحرمان ليس هو الذي قادهم للبحث عن الرضاء الجنسي خارج بيت الزوجية؛ فإذا كانت وجهة نظر هذا العالم النفساني صحيحة، فإن الرجال الذين يخونون زوجاتهم يعانون من نقص في المزج بين الجنس والحب، وفي خلال الأجيال القليلة الماضية فقط، بدأ الرجال والنساء يجمعون بين الاثنين..

وقد شاهد عصرنا هذا ضرورة إعداد شعار جديد للزواج، على أساس أنه الجمع بين شخصين في حالة متساوية يجمعهما الحب والمصلحة المشتركة، أكثر منه مجرد شراء لنوع من الخدمة النسائية وحاملة للأطفال يربطها بسيدها الاعتماد الاقتصادي عليه!

وفي ظل هذه العلاقة الجديدة يصبح الجنس أسيراً لعلاقة الحب بأسرها، وهي تشمل زمالة الحياة، وعندما يختلط الجنس بالحب تماماً، فإنه لا يمكن أن يمارس بعيداً عن نطاق الزوجية دون أن يحدث اضطراباً لشخصية الشريك الخائن وعلاقته بزوجته.

ويقول أحد علماء الاجتماع، أن الزواج الحديث عبارة عن "تأثير متبادل للشخصية بأسرها" بين رجل وامرأة بحيث يصبح كل منهما بالنسبة للآخر جزءًا من شخصيته، ويملك كل منهما الآخر بأكثر المعاني النفسية وداً"

ويؤكد أحد مشاهير علماء النفس: "أنه عندما يصبح رضاء أو أمن شخص آخر، أمراً له من المغزى ما لرضاه الإنسان نفسه أو آمنه، توجد حالة الحب". فإذا تضمن الزواج حباً من هذا النوع، فإن القوة الأساسية التي تجعل الرجل مخلصاً تصبح واضحة، وهي أن زوجته أعز قطعة من نفسه، وهو لا يستطيع أن يتحمل إيذاء هذا الجزء أو من يفصل قطعة من كيانه عنه، وعندئذ تبدو العلاقات السرية والعواطف التي يضطر لإخفائها أموراً خطرة بل وبغيضة لأنها تعوق الذاتية ذات الرضاء العميق التي تقوم بين نفسه وزوجته. (عن مجلة ود بوك بقلم مورتون هانت)

كيف تأسر قلب زوجتك؟

دعا رجل بعض أصدقائه إلى العشاء في منزله، ولما جلسوا إلى المائدة، وضعت أمامهم ربة البيت إناءً كبيراً مغطى، فلما رفع الزوج الغطاء وجد في الإناء "تبنا" فاستشاط غيظاً، وسأل زوجته غاضباً: هل أصابك مس من الجنون؟.. فأجابت الزوجة في هدوء: كلا، إني محتفظة بكامل قواي العقلية، ولكنك تعلم أنني منذ تزوجنا حتى الآن، أعني فيما يقرب من عشرين سنة، أقدم لك في كل يوم وجبات الطعام، فلم تذكر لي مرة واحدة ما إذا كان الطعام شهياً أو أنك تأكل تبناً، وقد فعلت ذلك الآن لأحملك على الكلام، فتشكرني إذا كان الطعام شهياً، وتنقدني إذا لم يعجبك.

هذه قصة تحفظها الأوروبيات والأمريكيات عن ظهر قلب، وهي تدل على أن الزوجة يسرها أن تحس بأن زوجها راض عنها، وأن كلمة ثناء صغيرة يوجهها الرجل إلى زوجته قد تكون كفيلة بإزالة سوء تفاهم بينهما، ومشجعة للزوجة على الاهتمام بزوجها واحترامه والعناية به، وكان النبلاء الروس في موسكو وبطرسبرج فيما مضى يستدعون، بعد أكلة طيبة أو وليمة كبيرة، الطهاة إلى حجرة المائدة ويوجهون إليهم عبارات الشكر والثناء على ذوقهم ومجهودهم.

أفلا يجدر بالزوج أن يوجه مثل هذا الشكر إلى زوجته؟

ويتحدث الأمريكيون عن زواج مثالي، وهو زواج الممثل السينمائي المعروف "ورنر باكستر" بممثلة شهيرة بلغت قمة المجد، وقد تركت هذه الممثلة المجد لكي تتزوج، وإذا كانت _كما يقول زوجها_ قد حرمت تصفيق الجماهير وهتاف المعجبين بها، فإني أحرص على أن أسمعها تصفيقي وهتافي.

كن بشوشاً ولبقاً

وتقول زوجة الموسيقار المشهور "ولتر دمروش": التوفيق في الحياة الزوجية يتوقف إلى حد كبير على المؤانسة والبشاشة واللباقة المتبادلة؛ فإن كل امرأة تتمنى أن يعاملها زوجها كما يعامل ضيوفه وأصدقاءه الأوفياء، كما أن كل زوج يتهرب دائماً من زوجة جافة مغرمة بالمشاكسة. وكلنا نعرف أن الغطرسة تقتل الحب، ولكننا مع ذلك نكون أكثر تأدباً وبشاشة مع الأصدقاء والضيوف منا مع أفراد أسراتنا.

وفي هذا الصدد تقول "دوروثي دكس" الكاتبة الأمريكية المعروفة: أنه مما يتناقض مع الواجب والعرف أن الأشخاص الوحيدين الذين يوجهون إلينا الإهانات المتوالية والسباب والشتائم هم أقاربنا الذين نعيش معهم وهم أقرب الناس إلينا، بل وأعزهم علينا؛ فالبشاشة وحسن المعاملة والإيناس هي روح الزواج الموفق. والمعروف عن أحد كبار الكتاب

الفرنسيين أنه كان إذا شعر بتوعك مزاجه أو باضطراب أعصابه، انزوى في مكتبه حتى لا يغضب أحداً من ذويه من غير ذنب ارتكبه.

ومما يؤثر عن الهولندي أنه يترك حذاءه عند باب المنزل الخارجي، والمقصود بذلك أنه قبل أن يدخل مسكنه إلى حيث يأوي إلى زوجته وذويه، يترك كل همومه ومشاغله خارجاً، ولا يفكر إلا فيما يدخل السرور والمرح على من يعيش معهم.

وهنا يقول الكاتب المعروف وليم جيمس: إننا جميعاً مصابون بنوع من الجمود وفقدان الشعور نحو أشخاص معينين، فمنا من لا يستطيع أن يرفع صوته أمام عميل أو زميل، ولكنه يجد من الطبيعي أن يستجوب زوجته بلهجة الأمر الناهي المسيطر في خشونة وقسوة، في حين أن سعادتنا تتوقف على الانسجام في الحياة المنزلية أكثر مما تتوقف على النجاح في الأعمال.

ومع أن الرجل يبذل في سبيل النجاح في أعماله مجهوداً يفوق بمراحل ما يبذله لإيجاد الانسجام في منزله، فإنه يترك للقدر تدبير أهم ما يمس حياته، فواجبه أن يكون لطيفاً في معاملة زوجته ولا يجعل الابتسامة تفارق شفتيه وأن يكون دبلوماسياً لبقاً فإن من مصلحته وحده أن يفعل ذلك.

تسامح في الأشياء الصغيرة

يقول قاض في إحدى ولايات أمريكا أن قضايا طلب الطلاق التي كان يحكم فيها بالانفصال في إحدى السنوات كانت تسير بمعدل ستة أحكام انفصال في الساعة، وأنه إذا استطاع أحد أن يشهد إحدى الجلسات ويقف على الأسباب التي من أجلها يطلب أحد الزوجين الطلاق لقدر قيمة الأمور التافهة في نظره؛ فالحياة المنزلية لا تخلو في أي يوم من بعض المسائل الصغيرة التي إذا لم يتساهل فيها أحد الزوجين قد تعقد وتؤدي إلى طلاق، فمثلاً تهتم المرأة بزينتها وتحرص على أن تبدو دائماً جميلة جذابة وإليك الدليل: إذا سار رجل وزوجته في الطريق وقابلا صديقاً وزوجته، فإن الرجلان يتبادلان التحية والحديث، وأما الزوجتان فإن كلاً منهما تدرس بعناية زينة الأخرى وهندامها، وقد روى أحد الأصدقاء عن جدته التي توفيت في سن الثامنة والتسعين أنه قبل وفاتها بأيام، عرضوا عليها صورتها وهي في سن الثمانين، فأخذت تتفرس فيها، ولما كان نظرها ضعيفاً حيث لم تستطع أن تتبين الصورة فإنها سألت عن نوع وشكل الزي الذي كانت ترتديه وقتئذ.

فعلى الزوج إذن أن يراعي شعور زوجته، وألا ينهرها إذا أطالت في تزيين نفسها، فإن هذا غريزة في كل امرأة، بل عليه أن ينقش العبارة التالية في مكتبه، بل وفي كل أركان منزله "عليّ أن أراعي خاطر زوجتي وأن أكرمها لكي أعيش سعيداً".

الأعياد والورود

إن المرأة تهتم اهتماماً بالغاً بعيدي ميلادها وزواجها، وقد لا يستطيع الزوج أن يتذكر تواريخ الحوادث المشهورة في التاريخ، ولكن عليه أن يتذكر دائماً تاريخين وهما ميلاد زوجته وعيد زواجهما، ليقدم لها في كل منهما هدية تدخل السرور على نفسها. وتأتي بعد ذلك مسألة إهداء الورود والأزهار، فإن المرأة بطبيعتها تحب الأزهار وتعجب بها وتقدرها. إنك عندما تزور مريضة في المستشفى أو في بيتها، فإنك تأخذ لها معك عادة طاقة من الأزهار الجميلة، فلماذا تنتظر _ وأنت تعلم ذلك _ حتى تدخل زوجتك أحد المستشفيات أو تصاب بمرض وتقدم لها الأزهار في هذه المناسبة السيئة.

إنك إذا قدمت لها وردة واحدة، وردة واحدة فقط كل أسبوع كان لها فعل السحر في نفسها.

(خلاصة فصل من كتاب "طريق السعادة" لمؤلفه دال كارنيجي)

لماذا تشكو منك زوجتك ؟

قد تنتاب الزواج بعض المتاعب، فلا تجعله موفقاً إلى الحد الذي كان يصبو إليه كل من الزوجين وقد يكون ذلك راجعاً إلى اختلاف في ميول وطباع الطرفين، أو إلى شذوذ الزوج في معاملته لزوجته مما يدعوها للشكوى والتبرم. ومن الاختبار التالي الذي وضعه عالم اجتماعي كبير، يستطيع الزوج أن يعرف عيوبه، ويقف على أسباب شكوى زوجته فيعمل على الإقلاع عن عاداته المستهجنة التي لا تتفق مع اللياقة الواجبة نحو الزوجة، ويتبع الخطة المثالية التي تجعله سعيداً.

فاقرأ بإمعان كل سؤال، وأجب عليه طبقاً لما تفعل تماماً، أي إما "عادة" أو "أحياناً" أو "أبداً" وأعط لنفسك الدرجة الموضوعة بجانب إجابتك عليه. ثم اجمع درجاتك فإذا حصلت على ٧٥ درجة فأنت زوج كامل يحق لزوجتك أن تزهو وتعتز بك، وإذا حصلت على ٢٥ درجة فقط، فأنت وحدك المسئول عن فشل حياتك الزوجية، وعليك أن تعالج عيوبك الكثيرة حتى تكفل لزوجتك حظها من السعادة. أما إذا حصلت على أقل من ٧٥ درجة فإنه من السهل عليك أن تتلافى أسباب شكوى زوجتك وتستطيع أن تبلغ درجة الكمال بقليل من المران واللباقة، وها هي الأسئلة.

الدرجة

السؤال عادة أحياناً أبداً

١- هل تنكد على زوجتك عندما تستيقظ في الصباح؟

٢- هل تنتقد طهي زوجتك؟

٣- هل تقارن طريقة أداء زوجتك للشئون المنزلية بالطريقة التي كانت تتبعها أمك؟

٤- هل يفوتك أن تطري زوجتك كلما دعا الأمر؟

٥- هل تكثر من الشخير أثناء النوم؟

٦- هل تحب أن تدللك زوجتك كالطفل في حالة مرضك؟

٧- هل تفتش على عمل زوجتك من وقت لآخر؟

٨- هل تنتقد زوجتم أمام الضيوف؟

٩- هل تعتبر زوجتك مسئولة عن سلوك الأطفال؟

١٠- هل تستاء من زيارة أقارب الزوجة لك؟

١١- هل تحاول أن ترغم زوجتك على ارتداء زي معين؟

١٢- هل تخبر زوجتك إذا اضطررت إلى التأخير عن موعدك؟

١٣- هل تعتذر لزوجتك إذا أسأت إليها؟

١٤- هل يحلو لك أن تقلب نظام المنزل؟

١٥- هل تنسى عيد زواجك؟

١٦- عندما تمر أمام بائع زهور هل تفكر في شراء أزهار لزوجتك؟

١٧- هل تستشير زوجتك في مشروعاتك؟

١٨- هل تهتم بزوجتك عندما تشعر بانحراف صحتها؟

١٩- هل تستاء من مرافقة زوجتك عند زيارتها لأقاربها؟

٢٠- هل ترفض أن تعتني بالأطفال إذا طرأ على الزوجة عذر قهري يمنعها من ذلك؟

٢١- هل تتقاسم دخلك مع زوجتك؟

٢٢- هل لا تشجع زوجتك على ممارسة بعض الفنون الجميلة كالعزف على البيانو مثلاً إذا رغبت في ذلك؟

٢٣- هل تكره أن ترى زوجتك ترقص مع شخص آخر في حفلة خاصة تشهدانها معاً؟

٢٤- هل تمنع زوجتك من تقليدك في بعض عاداتك كالتدخين مثلاً؟

٢٥- هل تمسك بيد زوجتك عندما تذهب معها إلى السينما؟

أهل زوجك في جيبك

حينما تنجح فتاة في غزو قلب شاب حتى يستقر على اختيارها زوجة له، نلاحظ أنها تطمع أيضاً في أن تأسر قلوب أفراد أسرته جميعاً، لتضمن السعادة التامة والهناء المقيم. وهي لذلك تقدر اللقاء الأول بأسرة الشاب أهمية كبرى، وتشعر لهذه المناسبة بشيء من القلق، غير أن الشاب غالباً ما يطمئن فتاته قائلاً: تأكدي أنهم سيحبونك يا عزيزتي للأسباب ذاتها التي أعشقك من أجلها

وإذا كان الشاب صادقاً في الشطر الأول من هذه العبارة – وقد لا يكون – فمن المؤكد أنه مخطئ كل الخطأ في الشطر الثاني منها. فإذا اتفق أن أحبت أمه فتاته المختارة، فإن هذا الحب إنما يصدر عن أسباب تختلف تماماً عما يقدره هو. والأم مثلاً لا تهتم بتوفر الجاذبية في زوجة ابنها، بل الغالب أنها لا ترتاح لها وترقها بعين الحذر، خشية أن تكون هذه الجاذبية وحدها _ دون الصفات الأخرى الجوهرية _ هي التي أوقعت الشاب في شباك الغرام.

ونصيحتي للزوجة المستقبلة أن تلحظ الأمور التالية عند لقاء أهل زوجها!

ثيابك

اهتمي بأن تدل ثيابك على النظافة والبساطة والاقتصاد، أكثر مما تكشف عن سحرك الفتان. وتذكري دائماً أن أهل زوجك لا يهتمون كثيرة بجمالك وإنما يهمهم تدبيرك، وهم لا يرتاحون أبداً إذا تخيلوا أنك ستكلفين زوجك شططا، وهذا صحيح في جميع الحالات، سواء كان الزوج بالغ الثراء أو فقيراً، والذي همهم هو المبدأ، وهم لا يريدون لابنهم زوجة مسرفة.

أحاديثك

يجمل بك أن تكوني ذكية، على ألا يبدو عليك الدهاء، كما يجمل بك أن تكشفي عن تقديرك للفكاهة بالضحك من نكات العائلة أكثر من سردك للنكات، وتذكري كم يبدو تقدير الأب في قوله: "إن زوجة ابني هادئة الطبع رزينة" أكثر مما لو قال "إنها ذكية جداً"، وذلك لأن الأبوين يخشيان أن يكون الابن قد خدع بالذكاء البراق عن الجوهر المكنون. ولاتنخدعي إذا أعرب الأب عن حبه للطلاقة في النساء، فلا تجادلينه أبداً، وإنما أظهري احترامك الكامل لآرائه واقتناعك بها. وليس هناك ما يقنع الأب بحكمتك مثل مبالغتك في الإصغاء له، وموافقته على أحكامه ووجهات نظره. وقدري ما قاله سقراط من أنه "ليس هناك دليل على الحكمة مثل اعتراف المرء بجهله".

احذري الغموض

وإذا كان هناك شيء يمكن أن يثير قلق أهل زوجك إلى اكبر حد، فإنه الغموض، وربما اتقدت عواطف فتاك لأنه لا يستطيع فهم كنه نفسك، ويجد في شخصيتك جوانب غامضة تزيده تعلقاً بك، وربما فتنه أنه يجلس إلى جانبك ويحادثك _ وقد يلمسك _ ولكنه رغم ذلك لا يستطيع أن يتكهن بما يدور في ذهنك.

هذا كله جميل! ولكن تذكري أن مفتاح قلوب الأب والأم والأخت هو الصراحة، وإذا تاه عليهم تقدير ما يدور بخلدك، فمن المؤكد أنهم سيحذرونك. إنهم يريدون أن يلمسوا فيك الصراحة والبساطة، وأن يكتشفوا أن عقلك مثل حياتك كتاب مفتوح.

ماضيك

ومن الأمور التي تروق لأغلب الفتيات أن تكشف للشاب أنه ليس أول المعجبين، وأن الكثيرين قد غازلوها قبله، فإذا انصرف عنها فمن المؤكد أن عدداً آخر كبيراً من العشاق سيعقبه، ولكن ليس هناك ما يؤذي شعور الوالدين مثل تصور أن ابنهم وشخصاً آخر في كفتي ميزان. وأن مجرد فكرة إعجابك أو ارتياحك لشخص آخر كفيل بأن يضعك عندهم في قائمه المستهترات.

وحكمة الآباء تجعلهم يكرهون المبالغة في أي شيء؛ فهم لا يريدون أن تكوني من النوع الضعيف المستسلم الذي يكل جميع الأمور إلى الزوج؛ فهم يميلون إلى الزوجة العاقلة العملية المقتصدة، القادرة على القيام بواجباتها كلها على أكمل وجه، يريدونها عوناً لابنهم، لا حملاً يزيد من أعبائه.

وإذا ظهر لأسرة فتاك أنه يحبك فوق ما تحبينه، فلن يغفروا لك هذا أبداً، إنما سيرمونك بأنك فتاة غبية جامدة القلب، خدعت ابنهم وسلبته عواطفه عن غير وجه حق، وهكذا تفقدين عطفهم إلى الأبد.

أما وقد ذكرت لك كل هذه الأمور، فإني لا أحتاج إلى تنبيهك إلى أن حكم الوالدين له من الأهمية الشأن الكبير، فهما يعتقدان أن الابن طفل صغير فلا يطمئنان لحكمه، ولا يقدران حبه، وإنما يعتمدان على رأيهما الخاص فيك. فحاولي أن تكسبيهما كما كسبته وأن تتحلي مكاناً في قلبهما إلى جانب المكان الذي يشغله فتاك.

وقد تتساءلين هل يستحق حب أسرته لك كل هذا العناء؟ وفي رأيي أنه يستحق، فعلى الرغم من أن بعض الزيجات تنجح دون موافقة الأسرة، فإنه من المحقق أن هذه الموافقة تجعل الأشهر والأعوام الأولى من الحياة الزوجية أجمل في نظر الجميع، وتوفر على الزوج عناء لوم النفس البغيض حينما ينشب خلاف بينه وبين زوجته، وهو أمر لا مفر منه، وعلى العموم فهذا سبيل سعادتك، فإن شئت فاتبعيه.

هل أنت زوجة مثالية؟

لا شك في أن السعادة الزوجية قوامها لباقة الزوجين، وحسن تصرفهما، على أن بعض الزوجات بدوافع نفسية؛ تملن إلى السيطرة على الزوج ومراقبة حركاته وسكناته، بينما تتفانى زوجات أخريات في العمل على راحة أزواجهن؛ فيكون في هذا السلوك ما بعدم الزواج من الفشل والحياة الزوجية من الانهيار؛ فهل فكرت يا سيدتي في أمرك مع زوجك؟

الاختبار التالي يساعدك على معرفة تصرفاتك وميولك وأثرها في حياتك، فأجيبي في صراحة على الأسئلة التالية بنعم أو لا.

- هل تقولين لزوجك في بعض الأحيان: ليتني تزوجت من فلان لأن دخله المالي أكبر من دخلك؟

- عندما يعود الزوج إلى منزله وهو مرهق ومتعب من العمل؛ فهل تحرصين على أن تشجعيه بكلمات طيبة أم تقولين له بجفاء: كفاني هموماً فلا تزدني همًا على هم ولا تجعل حياتي أكثر تنغيصاً مما هي عليه الآن؟

- هل تنكدين على زوجك لتقصيره. في إجابة بعض مطالبك؟

- هل تنتقدين عاداته وهندامه وأذواقه؟

- هل تسخرين منه أمام الناس لتحقري من شأنه؟

- عندما يقص عليك أمراً ما هل تقطعينه بقولك: أنت مخطئ وليس الموضوع كما تقول؛ إنك سيء التصرف؛ أو ما يجري مجرى هذا المعنى من عبارات؟

- إذا منح علاوة على مرتبه؛ فهل تقولين له في برود: أنها لا قيمة لها؟

- هل تكثرين من الثناء على مواهب ومزايا بعض الأشخاص من معارفك حيث تجعلين زوجك يشعر أنه لا قيمة له ولا شأن؟

- إذا تناقش مع أصدقائه أمامك في موضوع ما؛ هل تنحازين دائماً إليهم سواء بحق أو بغير حق؛ ولكن بدوافع نفسية خاصة؟

- هل تتعمدين إظهار الجفاء والخشونة والقسوة عندما تدركين أنه في حاجة ماسة إلى عطفك ورعايتك؟

- هل تذكرين له أنه لو قدر لك أن تبدءي حياتك الزوجية من جديد فإنك لن تختاري رجلاً مثله؟

- هل تفرضين عليه ألوان ملابسه؟

- إذا عرضت لكما مسألة هامة للبحث والتشاور؛ فهل تقولين له: اتركها لي لأفحصها بنفسي لأنك كثير الخطأ
- هل تتركينه وحده يتخبط في المشاكل والصعاب التي تصادفه؟
- هل تهملين نصائحه وإرشاداته ولا تكترثي لما يقول؟

أعطي نفسك درجة واحدة عن كل إجابة "بنعم"، فإذا حصلت على أكبر من عشر درجات فإنك زوجة أنانية تريد أن تجرد زوجها من كل شخصيته؛ وأن تسيطر عليه سيطرة كاملة. وإذا تراوحت الدرجة بين ٥، ١٠ فأنت لست الشريكة الحقيقية التي تفهم واجبات الحياة الزوجية. أما إذا حصلت على أقل من ٥ درجات؛ فأنت زوجة مثالية يستطيع زوجك أن يعتمد عليك.

الفهرس